ظاهرة التَّعويض في الدَّرسِ النَّحوي
المصدر نموذجاً

اعداد الدكتور

د/ عزَّت توفيق مصطفى الجريتلي

أستاذ النَّحو والصَّرف والعَروض المساعد

في قسم اللُّغةِ العربيَّة – بكليَّة الآداب

جامعة الفيوم

د/ عزّت توفيق مصطفى الجريتلي

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسلين سيّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نهجهِ إلى يومِ الدِّين. أمَّا بعدُ :

فهذه دراسةٌ عنوانها : (ظاهرة التَّعويض في الدَّرسِ النَّحوي المصدر نموذجاً) .

ويقُصدُ بـ « التَّعويض « (إقامةُ الكلمةِ مُقامَ الكلمةِ).

وقد صيغَ العنوانُ انطلاقاً من المُشكلةِ التّي تعالجُها الدِّراسةُ وهي الوقوفُ على آراءِ النُّحاةِ واللُّغويين والبلاغيين والمُفسّرين في ظاهرةِ التَّعويضِ بوصفها ظاهرةً تركيبيَّةً دلاليَّةً ؛ حيثُ تُقامُ الكلمةُ مقامَ كلمةٍ أُخرى بُغيةَ تحقيقَ غاياتٍ دلاليَّةً وبلاغيَّةً يقصدُها المُتكلّمُ باللُّغةِ, فلقد اهتمَّ النُّحاةُ والبلاغيون والمُفسّرون واللُّغويون قديماً وحديثاً بهذه الظَّاهرة, وأفردوا لها الأبوابَ والفصولَ والمباحثَ في مؤلفاتِهم المُختلفةِ, وتوسَّعوا في الحديثِ عنها استناداً لكثرةِ مجيئها في القُرآنِ الكريمِ وفي كلامِ العربِ شعرهِ ونثره.

قال ابنُ فارس في كتابهِ « الصَّاحبي «[1]: « من سُننِ العربِ التَّعويضُ « وهو : إقامةُ الكلمةِ مُقَامَ الكلمةِ. فيُقيمونَ الفعلَ الماضيَ مُقامَ الرَّاهنَ, كقولهِ جلَّ ثناؤه [قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ] {النمل:٢٧} المعنى : أم أنت من الكاذبين. ومنه : [وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا] {البقرة:١٤٣} بمعنى أنتَ عليها. ومن ذلك : إقامةُ المصدرِ مُقامَ الأمرِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ] {الرُّوم:١٧} والسُّبحةُ : الصَّلاةُ. يقولونَ : « سَبِّحْ سُبْحَةَ الضُّحى «. فتأويلُ الآيةِ : سَبِّحوا للهِ جلَّ ثناؤه, فصارَ في معنى الأمرِ والإغراءِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَضَرْبَ الرِّقَابِ] {محمد:٤}. ومن ذلك : إقامةُ الفاعل مُقامَ المصدر, يقولون : « قُمْ قائماً « قالَ :

(١) الصَّاحبي في فقه اللُّغة العربيَّة وسنن العرب في كلامها : ص ٣٩٤ - ٣٩٧. لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ), شرح وتحقيق السَّيِّد أحمد صقر, تقديم د, عبده الرَّاجحي, سلسلة الذَّخائر (٩٩) الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣م.

قُمْ قائماً قُمْ قائماً ** لَقِيتَ عبداً نائماً (٢)

وعُشَرَاءَ رائِماً ** وأمَةً مُرَاغِماً (٣)

وفي كتابِ اللهِ جلَّ ثناؤه : [لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ] {الواقعة:٢}.

ومن ذلك :إقامةُ المفعول مُقامَ المصدر, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ] {القلم:٦}. أي الفتنة. تقولُ العربُ : « مَا لَهُ مَعْقُولٌ, وحَلَفَ مَحْلوفَهُ باللهِ, وَجَهَدَ مَجْهُودَه «. ويقولون : « مَا لَهُ مَعْقُولٌ ولا مَجْلُودٌ « يُريدونَ العقلَ والجَلْدَ. قالَ الشَّماخُ :

مِنَ اللَّواتِي إذا لانَتْ عريكتُهَا ** يَبْقَى لَهَا بَعْدَها آلٌ وَمَجْلُودُ (٤)

ويقولُ الآخرُ : * إن أخا المَجْلُودِ مَنْ صَبَرَ (٥)

ومن ذلك : إقامةُ المصدر مُقامَ الفعل, يقولون : « لقيْتُ زيداً وقيلَهُ كذا « أي يقولُ كذا. قالَ كعب : يَسْعَى الوشاةُ حَوَالَيْهَا وقِيلَهُمُ إنَّكَ يا ابنَ أبي سُلْمى لَمَقْتُولُ (٦).

تأويله : يقولون. ولذلك نُصب.

ومن ذلك وضعُهم « فَعِيلاً « في موضع « مُفْعَل « نحو : « أمرٌ حكيمٌ « بمعنى مُحْكَم. ووضعُهم « فَعِيلاً « في موضعِ « مُفْعِل « نحو : « عذابٌ

(٢) في الخصائص لابن جنِّي ٣ - ١٠٣, لرجلٍ يدعو لابنه وهو صغير. وفيه : « رأيْتُ عبداً «. وفي المقاصد النَّحويَّة للعيني بهامش الخزانة ٣ - ١٨٤ : « هذا رجز قالته امرأة من العرب « وفيه : « صادفتَ عبداً «.

(٣) العشراء هنا النَّاقة الَّتي وضعت جملها. والرَّائم : الَّتي تعطفُ على ولدها. والأمة المراغم : المغاضبة.

(٤) البيتُ ليس للشَّماخِ, وإنَّما هو للأخطل من قصيدةٍ يمدحُ فيها يزيدُ بن معاوية, وقبله كما في ديوانه ١٤٨ :

هل تَبْلِغَنِّي يَزيداً ذات مَعْجَمةٍ ** كَأَنَّها ضخرةٌ صَمَّاءُ صَيخودُ

يُقالُ : ناقة ذات مَعْجَمةٍ, أي ذات صبرٍ وصلابةٍ وشدَّة وخبرة قويَّة على قطع الفلاة. والصَّيخود : الشديدة الصلبة. والبيتُ للأخطل في اللسان ١٣ - ٣٥٣ وفيه يقالُ : إنَّهُ لَصعبُ العريكةِ وسهلُ العريكةِ, أي النَّفس, وقيل في تفسيره : عريكتها : قوتها وشدتها, ويجوزُ أن تكون ممَّا تقدَّم ؛ لأنَّها إذا جهدت وأعيت لانت عريكتُها وانقادت. والبيت غيرُ منسوب في اللسان ٤ - ١٠٠ ولم ينسبه ابن فارس في مقاييس اللُّغة ١ - ١٦١... ولم يرد البيت في ديوان الشَّماخ, ولكن الشَّيخ الشَّنقيطي ألحقه به اعتماداً على نسبته له هنا. نقلا عن المحقق.

(٥) في اللسان ٤ - ٩٩ « والجَلَد : الصَّلابة والجلادة, تقولُ منهُ : جَلُدَ الرَّجل - بالضَّم - فهو جَلْد وجليد وبيِّنٌ الجلَد والجلُودة والمجلُود, وهو مصدر مثل المحلوف والمعقول, قال الشَّاعرُ : واصبر فإنَّ أخا المجلود مَن صبرا *.

(٦) ديوان كعب بن زهير ١٩, وشرح بانت سُعاد ١٦٩ ويُروى: « الوشاة بجنبيها « و» جنابيها « أي حواليها.

أليمٌ « بمعنى مؤلم. وتقول :

* أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ * (٧)

بمعنى مسْمِع. ومن ذلك وضعُهم : « مفعولاً « بمعنى « فاعل « كقولهِ جلَّ ثناؤه : [حِجَابًا مَسْتُورًا] {الإسراء:٤٥}, أي ساتراً. وقيل مستوراً عن العيون, كأنَّهُ أُخْذَةٌ لا يُحَسُّ بِها أحدٌ. ومن ذلك إقامةُ الفعلِ مُقامَ الحالِ كقولهِ جلَّ ثناؤه : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] {التَّحريم:١} أي مُبتغياً. وقال الآخرُ :

الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهُ ** وَالْبَرقُ يَلْمَعُ فشي غَمَامِهْ (٨)

وهذه الدِّراسةُ تُركِّز على جانبٍ واحدٍ من الجوانبِ المُختلفةِ للتَّعويضِ وهو (إقامة المصدر مقام غيره في الدَّرسِ النَّحويّ) وبيان أثر هذا التَّعويض على الدَّلالةِ اللُّغويَّة.

وقد اختيرت هذه المُشكلةُ للدِّراسةِ في ضوءِ دافعين مُهمَّين :

الأوَّلُ : الاستعمالُ الدَّلالي للمصدرِ في القرآنِ الكريم وفي كلامِ العربِ شعره ونثره من المجالاتِ الواسعةِ لعملِ النُّحاةِ واللُّغويين والمُفسِّرين, ومن ثَمَّ تظهرُ فيهِ بوضوحٍ اختلافاتُهم واتِّفاقاتُهم, كما تظهرُ فيهِ أدواتُهم وانتماءاتُهم الفكريَّةِ من خلالِ جوانبِ الاتِّفاقِ والاختلافِ.

الثَّاني : تواتر تراكيب قُرآنية وشعريَّة ونثريَّة قامَ فيها المصدرَ مقام الفعلِ, والحالِ, واسمِ الفاعلِ, واسمِ المفعولِ, والظَّرفِ, والفاعلِ, والمفعولِ

(٧) لعمرو بن معديكرب, كما في تأويل مشكل القرآن ٢٢٩ وعجزه : * يؤرقني وأصحابي هَجوعُ * وهو له في الأغاني ١٤ - ٢٥, ٣٣, والأصمعيات ١٩٨, والشِّعر والشُّعراء ١ - ٣٣٢ واللسان ١٠ - ٢٨ والأضداد للسجستاني وتفسير الطبري ١ - ٩٥ والبحر المحيط ١ - ٣٦٤ وغير منسوب في المخصص ٤ - ٨٣.

(٨) البيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري, كما في الأغاني ١٧ - ٥٥ والخزانة ٢ - ٢١٤, ٥١٦, وشرح شواهد الشافية ٣٦, ومجمع البيان ١ - ١٠ وأمالي المرتضى ١ - ٥٢, ٤٤٠ وفيه : « فعطف البرقُ على الرِّيح, ثُمَّ أتبعه بقولهِ: يلمع. كأنَّه قال : والبرقُ أيضاً يبكيه لامعاً في غمامه, أي في حال لمعانه. ولو لم يكن البرقُ معطوفاً على الرِّيحِ في البكاء - لم يكن للكلامِ معنى ولا فائدة « ويروى « شجوها «.

بـهِ... الـخ مما كان لـه تأثيرٌ كبيرٌ على الدَّلالـةِ اللُّغويـةِ لهذه التَّراكيب المختلفة, وهو ما سيظهرُ في ثنايا الدِّراسةِ.

وعلى هذا تتحدَّدُ أهدافُ الدِّراسةِ في الآتي :

١ – الكشف عن الاستعمال القرآني الدَّلالي للمصدر حالَ قيامه مقام الفعلِ, والحالِ, واسمِ الفاعلِ, واسمِ المفعولِ, والظَّرفِ, والفاعلِ, والمفعولِ بـهِ... الـخ

٢ – الكشف عن الاستعمال الشِّعري والنَّثري الدَّلالي أيضاً للمصدر حالَ قيامه مقامَ الفعلِ, والحالِ, واسمِ الفاعلِ, واسمِ المفعولِ, والظَّرفِ, والفاعلِ, والمفعولِ بـهِ... الـخ.

٣– تحديد موقف النُّحاةِ والمُفسِّرين والبلاغيين واللُّغويين من هذين الاستعمالين الدَّلاليين, والكشفُ من خلالِ ذلك عن وجوهِ الاتِّفاقِ والاختلافِ بينهما, والأسبابِ الكامنةِ وراء هذا الاختلافِ أو الاتِّفاقِ.

٤ – بيان أثر قيام المصدر مقام الفعلِ, والحالِ, واسمِ الفاعلِ, واسمِ المفعولِ, والظَّرفِ, والفاعلِ, والمفعولِ بـهِ... على الدَّلالـةِ اللُّغويَّة في التَّراكيب المُختلفة.

وأمَّا عن مادة الدِّراسة : فتستقي الدِّراسةُ مادتها من رافدين :

الرَّافد الأوَّل : القرآن الكريم.

والرَّافد الثَّاني : كلام العرب الفصيح شعراً ونثراً.

وقد اتَّبعت الدِّراسة مجموعةً من الخُطواتِ الإجرائيَّةِ ومنهجاً, للوصولِ إلى أهدافِها على النَّحو التَّالي :

أولاً : تحديد المقصود بـ « التَّعويض « لغةً واصطلاحاً.

ثانيا : بيان الفرق بينَ التَّعويضِ والبدلِ. بواسطة تحليل معجمي دلالي اعتمد على معاجم المعاني القُرآنيَّةِ بصفةٍ خاصَّةٍ مثل (المفردات) للرَّاغب الأصفهاني, و(بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزابادي, والمعاجم الَّتي اهتمَّت بالدَّلالات المجازيَّةِ مثل (أساس البلاغة) للزَّمخشريّ, بالإضافةِ إلى المعاني الحقيقيَّةِ.

ثالثاً : بيان الفرق بين المصدر واسم المصدر عند النُّحاة واللُّغويين. وشروط عمل كُلٍّ منهما.

رابعاً : اختيار مجموعة من النَّماذج القُرآنية والشِّعريَّة والنَّثريَّةِ للتَّطبيقِ.

خامساً : بيان موقف النُّحاةِ والمفسّرين والبلاغيين من دلالة (المصدر) حالَ قيامه مقامَ غيره في النَّماذج القُرآنيَّةِ والشِّعريَّةِ والنَّثريَّةِ المُختارةِ, وما اتَّفقوا فيهِ أو اختلفوا.

سادساً : التَّرجيح بينَ النُّحاةِ والمُفسّرين والبلاغيين حالَ الاختلافِ بينهم.

وقد اتَّبعت الدِّراسةُ هذه الإجراءات في إطار منهجٍ وصفيٍّ دلاليٍّ ؛ لأنَّهُ يصفُ مواقفَ النُّحاةِ والمُفسّرين, كما يصفُ التَّركيبَ القُرآني والشِّعري والنَّثري من خلالِ تحليلاتهم له, ويبيّنُ أثر ذلك على المصدرِ حالَ قيامه مقامَ غيره.

سابعاً : ونظراً لأنَّ الموضوعَ يتَّسمُ بالتَّداخلِ بينَ عملِ النُّحاةِ وعملِ المُفسّرين وعمل البلاغيين, فقد استعانت الدِّراسةُ بمصادرٍ تتَّسمُ بِهذا التَّداخلِ توخياً للدِّقَّةِ العلميَّةِ, ولهذا مثلت المصادر النُّحويَّةُ, ومصادر إعراب القرآن, ومعانيه, ومُشكلهِ, المصادر الرَّئيسيَّة الَّتي استقت منها الدِّراسةُ مواقفَ النُّحاةِ, ووظَّفتْ في كثيرٍ من المواضعِ مصادر

تفسيريَّةً للقرآنِ لبيان الدَّلالاتِ الَّتي رآها النُّحاةُ, أو للتَّرجيح بينهم لذلك تأتي آراءُ المُفسِّرين غالباً بعد آراءِ النُّحاةِ. كما أنَّ الدِّراسةَ اقتصرت في توظيفِ هذه المصادرِ على ما يخصُّ الجانبَ النَّحويَّ والدَّلالي للتَّراكيبِ القُرآنيَّةِ والشِّعريَّةِ والنَّثريَّةِ محلِّ الدِّراسةِ.

وقد جاءت هذه المصادر موزعة على النَّحو التَّالي :

*** المصادر النَّحويَّة :**

ترجعُ الدِّراسةُ في مصادرها الأساسيَّةِ إلى المصادرِ العامَّةِ الَّتي توضِّحُ مدارسَ النَّحو المُختلفةِ, وأهمُّ هذه المصادر : (الكتاب) لسيبويه, و(المقتضب) للمُبرِّد, و(التَّسهيل) لابن مالك, و(ارتشاف الضَّرب من لسان العرب) لأبي حيَّان الأندلسي, و(ومغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري, و (إعراب القرآن) للزَّجاج, و(التِّبيان) للعُكبري... وغيرها من أمثالِ تلك الكتب الأمهات في مدارس النَّحو المُختلفة. ومن المصادر الحديثة : (النَّحو الوافي) للأستاذ عبَّاس حسن, و(النَّحو المصفَّى) للدكتور محمَّد عيد...

*** المصادر التَّفسيريَّة :**

وترجع الدِّراسةُ في مصادرها الرئسيَّة إلى المصادر التَّفسيريَّة الآتية : (معاني القرآن) للفرَّاءِ, و(معاني القرآن) للأخفش, و(مجاز القرآن) لأبي عُبيدة, و(جامع البيان) للطَّبري, و(الكشَّاف) للزَّمخشري, و(المحرَّر الوجيز) لابن عطيَّة الأندلسيّ, و(والجامع لأحكام القُرآن) للقُرطبي, و(البحر المحيط) لأبي حيَّان, و(الدُّر المصون) للسَّمين الحلبي, و(التَّحرير والتَّنوير) للطَّاهر بن عاشور.

*** المصادر المعجميَّة :**

وترجع الدِّراسة في مصادرها إلى مجموعة من المعاجم اللُّغويَّة على النَّحو التَّالي :

العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ). وتهذيب اللغة : للأزهري (٣٧٠ هـ), وتاج العروس من جواهر القاموس : لمرتضى الزَّبيدي (٣٧٩),والمحيط في اللُّغة : للصَّاحب بن عبَّاد (ت ٣٨٥هـ), تاج اللغة وصحاح العربيَّة : للجوهري, مقاييس اللُّغة : لابن فارس (٣٩٥ هـ), والمخصَّص : لابن سيدة الأندلسي (٤٥٨هـ) المفردات في غريب القُرآن : للرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ), مختار الصَّحَّاح : للرَّازي (ت ٦٦٦ هـ), ولسان العرب : لابن منظور (٧١١هـ) والمصباح المنير : للفيومي (ت ٧٧٠هـ), والقاموس المحيط, وبصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروزابادي (ت ٨١٨هـ), ومعجم الفروق اللُّغويَّة : لأبي هلال العسكري.

وأمَّا الدِّراسات السَّابقة :

وأمَّا الدِّراساتُ السَّابقةُ فقد بحثْتُ عن الدِّراسات الَّتي تناولت (ظاهرة التَّعويض في الدَّرسِ النَّحوي المصدر نموذجاً) فلم أجد سوى أحاديث مُتفرِّقةً في كُتبِ النَّحوِ وكُتبِ التَّفسيرعن التَّعويض الصَّرفي والتَّعويضِ النَّحوي بصورة عامَّة, ولم أجد دراسة واحدة تكلمت عن إقامةِ المصدرِ مقامَ غيره وهو موضوع دراستي. ومن الدِّراسات الَّتي وجدتُها وتختلف عن دراستي ما يلي :

* – كتاب بعنوان : (ظاهرة التَّعويضِ في العربيَّة وما حُمِلَ عليها من المسائل) للدكتور عبد الفتَّاح أحمد الحموز. (١٧٦ صفحة) جامعة مؤتة.

* – التَّعويض وأثره في الدِّراساتِ النَّحويَّةِ واللُّغويَّةِ. للدكتور عبد الرَّحمن إسماعيل .

* – كتاب : ظاهرة التَّعويض في النَّحو العربي. للدكتور عبد الله صالح بابعير. مجلة أبحاث اليرموك, سلسلة الأدب, دار حضرموت للدِّراسات والنَّشر والتوزيع.

تناول المؤلِّفُ في كتابهِ مصطلح التَّعويضِ في الدِّراسات اللُّغويَّةِ, وهي طريقةٌ من طرائقِ الصِّياغةِ العربيَّةِ يحدثُ فيها إسقاطُ بعض أبنيةِ الكلماتِ المفردةِ أو عناصر التَّركيب اللفظي أو الجملي. والتَّعويض من هذا الإسقاطِ لعنصر يُجتلبُ من خارجِ البنيةِ أو التَّركيبِ لإصلاحِ النَّقصِ النَّاشئ عن هذا الإسقاطِ.

ومن فقرات الكتابِ في الجُزءِ الأوَّلِ منه الآتي :

(١) التباسُ مفهوم (التَّعويض) بمفهوم (الإبدال) إذ الأخيرُ ظاهرةٌ صوتيَّةٌ مُختصَّةٌ بإبدالِ من الجهةِ اللُّغويَّةِ, لكنَّه غيره من الجهةِ الاصطلاحيَّة.

(٢) تعدُّد الألفاظ المُستخدمة في هذه التَّعريفاتِ وهي ألفاظٌ استخدمت بمعانيها اللُّغويَّةِ لا بمفهوماتِها الاصطلاحيَّةِ, لأنَّ كُلاً منها له مفهومه الاصطلاحي الَّذي يجري على ظاهرةٍ قائمةٍ بذاتِها كالحذفِ والاستغناءِ.

أمَّا الفصلُ الثَّاني من الكتابِ فقد اشتملَ على مواضع التَّعويضِ في الدِّراساتِ النَّحويَّةِ وهي ظاهرةٌ صرفيَّةٌ ونحويَّةٌ, ولكنَّ مُعظمَ أمثلة هذه الظَّاهرةِ تعريفيَّةٌ وقد خصَّصَ المؤلِّفُ هذا القسمَ من البحثِ لعرضِ أهمِّ مواضع الظَّاهرة على المستوى النَّحوي التَّركيبي, لإجراء ملامح المفهوم الاصطلاحي المبيَّن في القسمِ الأوَّلِ.

فالعوضُ والمعوَّضُ هُما طرفا ظاهرةِ التَّعويضِ والعلاقةُ بينَ هذين الطَّرفينِ هي علاقةُ (تعاقب) فلا يجتمعانِ معاً في الكلامِ لأنَّ سببَ الإتيانِ بالعوضِ هو عدمُ المعوَّضِ فيؤتى بالعوضِ لإكمالِ نقصٍ ناشئٍ عن إسقاطِ المعوَّضِ, يقولُ الزَّمخشريُّ [٩]: « معنى العوضِ أن يقعَ في الكلمةِ إنقاصٌ, فيُتدارَكُ بزيادةِ شيءٍ ليسَ في أخواتِها وكنَّهما اجتمعا معاً ضرورة «.

(٩) الأشباه والنَّظائر في النَّحو : للعلاَّمة الشَّيخ جلال الدِّين السِّيوطي, الطَّبعة الثَّانية ٢٠٠٧م, دار الكتب العلميَّة, بيروت, لبنان. ١ - ١٤٦.

* – كتاب : ظاهرة العوض في صيغِ العربيَّةِ وتركيبها. تأليف دياب صبحي إسماعيل. النَّاشر جامعة الإسكندرية كليَّة الآداب قسم اللُّغة ا لعر بيَّة .

وخلاصة هذا الكتاب تتمثَّل في الآتي : الفصل الأوَّل وعنوانه : ظاهرةُ العوضِ عند القُدماءِ والمُحدثين.

١ – أنَّ هذا البحثِ جمعَ شتات ظاهرةِ العوضِ وآراء القُدماء والمُحدثين حولَ الظَّاهرةِ في كتابٍ واحدٍ يُمكنُ أن يُرجع إليهِ في كثيرٍ من مسائلِ التَّعويضِ الصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ.

٢ – تداخل مصطلح العوض مع مصطلحات أخرى صرفيَّة ونحويَّة مثل : الإبدال, والاستغناء, والحذف, والنِّيابة, والاكتفاءِ.

٣ – أنَّ علاقةَ ظاهرة العوضِ بظاهرةِ الإبدالِ على المستوى الصَّرفي لا ينبغي أن يُنظرَ إليها من جانب العمومِ والخصوصِ المُطلقِ كما يراها بعضُ القُدماءِ والمُحدثين.

فمِنَ القُدماءِ ابنُ جنّي يقول : (١٠)» اعلم أنَّ كُلَّ واحدٍ من ضربي التَّعاقبِ وهُما البدلُ والعوضُ يقعُ في الاستعمالِ موقعَ صاحبهِ وربَّما امتازَ أحدهما بالموضعِ دونَ رسيله إلاَّ أنَّ البدلَ أعمُّ استعمالاً من العوضِ « وهو على ذلك يرى أنَّ كُلَّ عوضٍ بدلٌ وليسَ كُلُّ بدلٍ عوضاً «. وابنُ جنّي بنى رأيه – ولاشكَّ – على عددِ حروفِ البدلِ وهي مجموعةٌ في قولهم : « استنجده يومَ صال رط « وعلى حروفِ العوضِ وهي : الهمزةُ والتَّاءُ والنُّونُ والسِّينُ والهاءِ. فحروفُ البدلِ تشملُ حروفَ العوضِ إذاً فهذهِ العلاقةُ ليستْ علاقةَ عمومٍ وخصوصٍ مُطلقٍ وكن مبناها على عددِ حروفِ البدلِ وحروفِ العوضِ.

(١٠) الأشباه والنَّظائر في النَّحو : ١ - ١٤٦.

ويرى بعضُ المُحدثين أنَّ العوضَ عامٌّ والبدلُ خاصٌّ فيقول : « بين الإبدالِ والقلبِ عمومٌ وخصوصٌ مُطلقٌ فكلُّ قلبٍ إبدالٌ ولا عكس... وكذلك الشَّأنُ في الإبدالِ والتَّعويضِ فكلُّ إبدالٍ تعويضٌ ولا عكس يجتمعان في مثل اصطبر وادَّكر وينفردُ التَّعويضُ في نحو عدة «.

ولاشكَّ أنَّ الشَّيخَ النَّجَّارَ قد بنى هذه العلاقةَ على أساسِ موقع حروف البدلِ والتَّعويضِ من المُبدلِ منه ومن المعوَّضِ منه فالتَّعويضُ يقعُ فيه العوضُ موقعَ المعوَّضِ منه وفي غيرِ موقعهِ والبدلُ لا يقعُ إلاَّ موقعَ المُبدلِ منه. وعليه فليست هذه العلاقةُ علاقةَ عمومٍ وخصوصٍ مُطلقٍ لكنَّها علاقةُ عمومٍ وخصوصٍ ترتبطُ بموقعِ ومكانِ حروفِ البدلِ والعوضِ من المُبدلِ منه والمعوَّضِ منه.

٤ – حروفُ البدلِ أشبه بحروفِ المُبدلِ منه من حروفِ العوضِ بالمعوَّضِ منه وهذه حقيقةٌ نبَّهَ إليها القُدماءُ وعليه فقد نبَّه البحثُ إلى ضرورةٍ مؤدَّاها أنَّ دراسةَ حروفِ الإبدالِ والتَّعويضِ دراسةٌ صوتيَّةٌ لها أثرٌ كبيرٌ في كشفِ كثيرٍ من جوانبِ ظاهرةِ العوضِ على المستوى ا لصَّرفي .

٥ – من المُفيدِ أن تتوجَّهَ الدِّراساتُ النَّحويَّةُ والصَّرفيَّةُ وجهةً جديدةً تأخذُ في اعتبارها عند دراسةِ الأبوابِ الصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ الظَّواهرَ اللُّغويَّةَ ذاتِ الأثرِ في فَهمِ طبيعةِ اللُّغةِ.

فإذا نظرنا إلى الدِّراساتِ الصَّرفيَّةِ الحديثةِ رأينا أكثرها يقتصرُ على أبوابٍ كالإبدالِ والإعلالِ فلم تأخذ في اعتبارها ظواهرَ لغويَّة أُخرى لا تقلُّ أهميةً عن هذه الظَّواهرِ مثل العوض والاستغناء وغيرهما.

ولعلَّ هذا الاتِّجاهُ قد بدأ عند بعضِ عُلماءِ العربيَّةِ المُحدثين مثل الدُّكتور إبراهيم البسيوني في كتابهِ « المنهج الصَّرفي في الإبدالِ والإعلالِ والتَّعويضِ «. والدُّكتور غريب عبد المجيد

في كتابهِ « الصَّرفُ القياسي « حيثُ أعدَّ الدُّكتور إبراهيم البسيوني فصلاً عن التَّعويضِ. وأعدَّ الدُّكتور غريب فصلين عن التَّعويضِ.

* – أنَّ ظاهرةَ العوضِ كسائرِ الظَّواهرِ اللُّغويَّةِ لها غرضٌ تعليميٌّ فإذا خرجت عن هذا الغرضِ لم تعد مقبولةً ولا لزوم لها إطلاقاً.

(٥) ظاهرة التَّعويض في اللُّغةِ العربيَّة. تأليف معطي جبر الكرعاوي. دار القلم للطباعة والنَّشر, ١٩٩١م.

ونلحظُ في هذه الدِّراساتِ المتنوّعةِ على غناها, أنَّها ليسَ منها ما يختصُّ بدراسةِ المصدرِ وحده شأنَ الدِّراسةِ الحاليَّةِ, وأنَّها في كثيرٍ منها قد ركَّزت على الجوانبِ الصَّرفيَّةِ, ولم تشم الجوانبَ المُختلفةَ الَّتي تُحيطُ بظاهرةِ التَّعويضِ. يُضافُ إلى ذلك تأثير تداخل المصطلحات عليها, واختلاط الظَّواهر الَّذي ينشأُ عن هذا التَّداخلِ, وهذا ما تسعى الدِّراسةُ الحاليَّةُ إلى ضبطهِ, والخلاصِ من أثره.

وقد جاءت الدِّراسةُ مُقسَّمةً على مُقدِّمةٍ وتمهيدٍ وستَّة فصولٍ وقائمة بالمصادرِ والمراجع, موزَّعة على النَّحو التَّالي :

في المُقدِّمة تحدثتُ عن الموضوع ومُشكلته وأهدافه والدِّراساتِ السَّابقةِ فيهِ ومنهجه وفصولهِ... إلخ.

وفي التَّمهيد تحدَّثتُ عن :

أ – تعريف التَّعويض في اللُّغة وفي الاصطلاح.

ب – تعريف المصطلحات الآتية : الإبدال, الاستغناء, الحذف, النِّيابة, التَّعاقب, الاكتفاءِ. والفرقُ بينها وبين التَّعويض.

ج – تعريف المصدر واسم المصدر. وشروط إعمالهما.

أمَّا عن الفصول فهي موزعة على النَّحو التَّالي :

الفصل الأوَّل : إقامة المصدر مقام الفعل.

الفصل الثَّاني : إقامة المصدر مقام الحال.

الفصل الثَّالث : إقامة المصدر مقام المفعول بهِ.

الفصل الرَّابع : إقامة المصدر اسم الفاعل.

الفصل الخامس : إقامة المصدر مقام الظَّرف.

الفصل السَّادس : إقامة المصدر مقام الفاعل.

وفقني اللهُ وإيَّاكم إلى طريقِ الهُدى والرَّشادِ, وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين, وصلَّى اللهُ على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وأصحابهِ وسلَّمَ تسليماً كثيرا .

العبد الفقير إلى عفو ربَّه

عزَّت توفيق مصطفى الجريتلي

* تعريف التَّعويض في اللُّغة وفي الاصطلاح :

أ – تعريف التَّعويض في اللُّغة [١١]:

التَّعويضُ مصدرُ عوَّضَ : وهو الخلفُ والبدلُ [١٢].

قالَ الخليلُ : « العِوضُ معروفٌ يُقالُ : عِضْتُه عياضاً وعَوْضاً والاسمُ : العِوَضُ والمُستعملُ التَّعويضُ عوَّضْتُه من هبتهِ خيراً واستعاضني : سألني العِوضَ عاوضتُ فُلاناً بعوضٍ في البيعِ والأخذِ فاعتضْتُه مما أعتيطه » [١٣].

وقالَ ابنُ دُريد : « العِوضُ كُلُّ ما اعتضته من شيءٍ فكانَ خلفاً منه واعتضتُ من فلانٍ فُلاناً, وعاضني فُلانٌ عوَّضني إذا أعطاك عوضاً والاسمُ المُعوضةُ, وعاضني اللهُ منه عِوضاً أي أعطاني خلفاً وهو العِوضُ والمعوضة » [١٤].

وعند الأزهريّ : « الليث : العوضُ قولُك : عاضَ يعوِّضُ عوضاً وعياضاً, والاسمُ العِوضُ

والمُستعملُ التَّعويضُ, تقول : عوَّضْتُه من هبتهِ خيراً. واعتاضني فُلانٌ إذا جاءَ طالباً للعوضِ والصِّلةِ, واستعاضني إذا سألك لعوضَ, وأنشدَ [١٥]:

نعمَ الفتى وَمَرْغَب المعتاض ** واللهُ يجزي القرضَ بالإقراضِ

(١١) أفدت في هذا من المعاجم الآتية : لعين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ), وتهذيب اللُّغة : للأزهري (ت ٣٧٠هـ), وتاج العروس : للزَّبيدي (ت ٣٧٩هـ), والمحيط في اللُّغة : للصَّاحب بن عبَّاد (ت ٣٥٨ هـ), تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة : للجوهري (٣٩٣ - ٤٠٠هـ), مقاييس اللُّغة : لابن فارس (٣٩٥ هـ) وجمهرة اللُّغة : لابن دُريد, أساس البلاغة : للزَّمخشري (ت ٥٣٨هـ), مختار الصَّحاح : للرَّازي (ت ٦٦٦ هـ), لسان العرب : لابن منظور (٧١١هـ), المصبح المُنير : للفيومي (ت ٧٧٠هـ) ومعجم الفروق اللُّغويَّة : لأبي هلال العسكري.

(١٢) لسان العرب : مادة (عوض) ٧ - ١٩٢.

(١٣) العين : عوض : ٢ - ١٩٣.

(١٤) جمهرة اللُّغة : ٣ - ٩٤.

(١٥) هو رؤبة بن العجَّاج يمدحُ بلال بن أبي بُردة. تاج العروس للزَّبيدي :

يقول : نعم مرغب الطَّالب للعوضِ. وعاوضتُ فُلاناً بعوضٍ في البيعِ والأخذِ والإعطاءِ, ويُقالُ : اعتضتُه مما أعطيته وعضتُ أصبتُ عوضاً, وأنشدَ :

هل لك والعارضُ منك عائض ** في هجمةٍ يُغْذَرُ منها القابض. (١٦)

وفي تاج العروس للزَّبيدي : « والعِوضُ, كَعِنبٍ : الخَلَفُ. وفي العُبابِ : كلُّ ما أعطيتَهُ من شيءٍ فكانَ خَلَفاً. وفي المُحكمِ : العِوضُ : البدلُ... والجمعُ أعواضٌ. وفي الصِّحاحِ : العِوضُ واحدُ الأعواضِ تقول : عَاضَني اللهُ منه عِوضاً وعَوضاً وعِياضاً, ككتابٍ, وأصلُه عِواضٌ قُلِبَتْ الواوُ ياءً لإنكسارِ ما قبلها, وعوضني اللهُ منه تعويضاً, والاسمُ من العَوضِ العِوضُ والمعوضة, كالمعُونة. وتعوَّضَ منه : أخذَ العِوضَ, وكذلك اعتاضَ. واستعاضَهُ : سألهُ العِوضَ فعاوضه مُعاوضةً : أعطاهُ إيَّاه. تقول : اعتاضَه : جاءه طالباً للعوضِ والصِّلةِ « (١٧). وفي مقاييس اللُّغة لابن فارس ما نصُّه : « العينُ والواوُ الضَّادُ كلمتان صحيحتانِ, إحداهما تدلُّ على بدلِ الشَّيءِ, والأُخرى على زمانٍ. فالأولى : العِوضُ, والفعلُ منهُ العَوضُ, قالَ الخليلُ : عاضَ يَعُوضُ عَوْضاً وعياضاً, والاسمُ العِوضُ, والمُستعملُ التَّعويضُ (١٨), تقول : عوَّضتُه من هبتهِ خيراً. واعتاضني فُلانٌ, إذا جاءَ طالباً للعوضِ والصِّلةِ. واستعاضني, إذا سألك العِوضَ. وقالَ رؤبةُ :

نعمَ الفتى وَمَرْغَب المعتاض ** واللهُ يجزي القرضَ بالإقراضِ

وتقول : اعتضتُ ممَّا أعطيتُ فُلاناً وعُضْتُ, أصبتُ عِوضاً. وقالَ :

يَا لَيْلَ أسقاكِ البُرَيْقُ الوامِضُ ** هلْ لكِ والعارضُ منك عائضُ

(١٦) تهذيب اللُّغة : ١- ٣٢٩.
(١٧) تاج العروس : وهو أبو محمَّد عُبيد الله بن محمَّد ربعي الفقعسي الحذلمي.
(١٨) أي الَّذي يكثُر استعماله, وهو عوضه لا عاضه. وهذه العبارةُ تصحِّحُ ما في اللسانِ (عوض) من قولهِ : « والمُستقبل التَّعويض « وقد حار فيها مصحِّحه.

في مائةٍ يُسْئرُ منها القابضُ [١٩].

ومعناه أنَّهُ خطها على مائةٍ من الإبلِ ثُمَّ قالَ لها : وأنا آخذُكِ فأنا عائضٌ, قد عُضْتُ, أي صارَ الفصلُ لي والعوضُ بأخْذيك.

والكلمةُ الأُخرى : قولُهم عَوْضُ, وأختُلِفَ فيها, فقالَ قومٌ هي كلمةُ قَسمٍ. وذُكِرَ عن الخليلِ أنَّهُ قالَ : هو الدَّهرُ والزَّمانُ. يقولُ الرَّجلُ لصاحبهِ : عَوْضُ لا يكونُ ذلك, أي أبداً. ثُمَّ قالَ الخليلُ : لو كانَ عَوْضُ اسماً للزَّمانِ لجرى بالتَّنوينِ, ولكنَّهُ حرفٌ يُرادُ بهِ القسمُ... « [٢٠]

* التّعويضُ في الاصطلاح :

عرَّفَ ابنُ فارس التَّعويضَ في الاصطلاحِ بقولهِ : « « من سُننِ العربِ التَّعويضُ « وهو : إقامةُ الكلمةِ مُقَامَ الكلمةِ. فيُقيمونَ الفعلَ الماضيَ مُقامَ الرَّاهنَ, كقولهِ جلَّ ثناؤه [قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ] {النمل:٢٧} المعنى : أم أنت من الكاذبين. ومنه : [وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا] {البقرة:١٤٣} بمعنى أنتَ عليها. ومن ذلك : إقامةُ المصدرِ مُقامَ الأمرِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ] {الرُّوم:١٧} والسُّبحةُ : الصَّلاةُ. يقولونَ : « سَبِّحْ سُبْحَةَ الضُّحى «. فتأويلُ الآيةِ : سَبِّحوا للهِ جلَّ ثناؤه, فصارَ في معنى الأمرِ والإغراءِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَضَرْبَ الرِّقَابِ] {محمد:٤}. ومن ذلك : إقامةُ الفاعل مُقامَ المصدر... « [٢١]

الإمامُ جلالُ الدِّين السّيوطيُّ بقولهِ : « وهو إقامةُ الكلمةِ مقام الكلمةِ, كإقامةِ المصدرِ مقامَ لأمرِ, نحو : [فَضَرْبَ الرِّقَابِ] {محمد:٤}... « [٢٢]

(١٩) لأبي محمَّد الفقعسي, كما في اللسان (عوض) , وانظر المخصّص (١٢ - ٢٥١)
(٢٠) مقاييس اللُّغة : ٤ - ١٥٣.
(٢١) الصَّاحبي في فقه اللُّغة العربيَّة وسنن العرب في كلامها : ص ٣٩٤ - ٣٩٧. لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ), شرح وتحقيق السَّيِّد أحمد صقر, تقديم د, عبده الرَّاجحي, سلسلة الذَّخائر (٩٩) الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣م.
(٢٢) المزهر في علوم اللُّغة : ١ - ٣٣٧. شرح وتعليق, محمَّد جاد, ومحمَّد أبو الفضل, المكتبة العصريَّة صيدا, بيروت, لبنان, ١٩٨٦م. دون طبعة.

*** الفرق بين العوض والبدل :**

عند الخليلِ : « البدلُ : خَلَفُ الشَّيء والتَّبديلُ : التَّغييرُ, واستبدلتُ ثوباً مكانَ ثوبٍ وأخاً مكانَ أخٍ ونحو ذلك المُبادلة. والأبدالُ قومٌ يُقيمُ بِهم الدِّين ويُنَزَّلُ الرِّزقَ أربعون بالشَّامِ وثلاثون في سائرِ البُلدانِ إذا ماتَ واحدٌ منهم يقومُ مَقامَه مثله ولا يؤبهُ لهم... « (٢٣)

وفي تهذيب الأزهري : « أبو عبيد عن الفرَّاء بَدَلٌ وبَدْلٌ ومثل ومِثْلٌ وشَبَهٌ وشِبْهٌ. وأخبرني الإيادي عن أبي الهيثم أنَّهُ قالَ : يُقالُ : هذا بِدْلُ هذا وَبَدَلُه. قالَ : وواحدُ الأبدالِ يُريدُ العُبَّاد أيضاً : بِدْلٌ وبَدَلٌ... « (٢٤).

وعند تفريقهِ بين (الغير والبدل) قالَ صاحبُ (المُخصَّصِ) ما نصُّه : « قالَ أبو عبيد : هو غيرُك وهُما غيرُك وهم غيرُك لا يُثنَّى ولا يُجمعُ ولا يؤنَّثُ قالَ النَّحويون وهي نَكِرةٌ كَمثلِ. قالَ أبو عليٍّ : قالَ أبو بكر محمَّد بن السّري اعلمَ أنَّ حُكمَ كُلِّ مُضافٍ إلى معرفةٍ أن يكونَ معرفةً وإنَّما تنكَّرتُ غيرٌ من أجلِ المعنى وذلك أنَّكَ إذا قلت : مررتُ برجلٍ غيرُك فما هو غيره فيه لا يكادُ يُحصى كما أنَّكَ إذا قلت : مررتُ برجلٍ مثلك فما هو مثله فيه لا يكادُ يُحصى يجوزُ أن يكونَ مثلَه في خَلقِه وقُلقه وجاهِه وعِلْمه ونَسَبه فكذلك غير تقعُ على كُلِّ أحدٍ غيره إذا قلت : مررْتُ برجلٍ غيرِك وتختلفُ وجوهُ الغَيريَّةِ أيضاً, فأمَّا إذا كانَ الشَّيءُ لَهُ ضدٌّ فأدت نفيَهُ وإثبات ضده صارت غير معرفة كقولك : عليك بالحركةِ غير السُّكون فغيْر السُّكونِ هي الحركةُ كأنَّك قلت عليك بالحركةِ لأنَّ غيرَ السُّكونِ هو الحركةُ ومِنْ ثَمَّ وُصِفَ الَّذينَ من قولهِ عزَّ وجلَّ : ([اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ] (الفاتحة:٦) بغير من قوله تعالى [غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ] (الفاتحة: ٧) ؛ لأنَّ الَّذينَ أنعمَ عليهم لا عقيبَ لهم إلاَّ المغضوب عليهم كما لا ضدَّ للحركةِ إلاَّ السُّكون فأمَّا تشبيه أبي إسحاق له بما حكاه سيبويه والخليلُ من قولهم : ما يَحسنُ بالرَّجلِ مثلِك أن يفعلَ كذا وكذا فخطأ لأنَّ

(٢٣) العين : ٨ - ٤٥. (بدل).
(٢٤) تهذيب اللُّغة : ١ - ٢٠٣.

الرَّجلَ في قوامِ النَّكرةِ إذ ليسَ بمقصودٍ والَّذينَ أنعمت عليهم محصورون مُقيَّدون مخصوصون فليسَ مثله. أبو عبيد : سَواءُ الشَّيءِ – غيره وسواه – نفسه فهو ضد. وقالَ بِدْل وبَدَل. صاحبُ العين : وكذلك بديل والجمعُ أبدال. قالَ سيبويه : وتقول : إنَّ بدلَك زيداً ؟؟ أي إنَّ مكانك وإن جعلتَ البدلَ بمنزلةِ البديل قلت إنَّ بدلَك زيد – أي إنَّ بديلك زيد.غير واحد : بدلته منه وبدَّلته كذا بكذا وأبدَلْتُه وتبدَّل منه وبهِ وكذلك استبدال وبادل الرَّجلُ صاحبَه, والإبدال... والعِوضُ – البدل عاضه منه وبهِ وعاضه إيَّاه عوضاً وعياضاً وعوَّضه. ابن جنّي : وأعاضه وتعوَّض منه واعتاض واعتاضه واستعاضه – سأله العِوضَ وعاوضته بِعِوض في البيعِ فاعتضتُه بما أعطيته وتوَّضته وعُضته – أصبتُ منه العِوض وهذا عياض لك – أي عوض. ابن السِّكيت : فلانٌ عِوض من فُلانٍ... « [٢٥]

وجعلَ الرَّاغبُ الأصفهانيُّ البدلَ أعمَّ من العِوضِ إذ قالَ : « الإبدالُ والتَّبديلُ والتَّبدُّلُ والاستبدالُ جعلُ شيءٍ مكانَ آخرٍ وهو أعمُّ من العِوضِ فإنَّ العِوضَ هو أن يصيرَ لك الثَّاني بإعطاءِ الأوَّلِ. والتَّبديلُ قد يُقالُ للتَّغييرِ مُطلقاً وإن لم يأتِ ببدلهِ, قالَ تعالى : [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ] {البقرة:٥٩} [وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا] {النور:٥٥} [يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] {الفرقان:٧٠} قيلَ هو أن يعملوا أعمالاً صالحةً تُبطلُ ما قدَّموه من الإساءةِ, وقيلَ هو أن يعفوا تعالى عن سيئاتهم ويحتسب بحسناتهم. وقالَ تعالى : [فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ] {البقرة:١٨١} [وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ] {النحل:١٠١} [وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ] {سبأ:١٦} [ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ] {الأعراف:٩٥} [يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ] {إبراهيم:٤٨} أي تغيَّر عن حالها [أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ] {غافر:٢٦} [وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ] {البقرة:١٠٨} [وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ] {محمد:٣٨}. وقوله : [مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ] {ق:٢٩} أي لا يُغيَّرُ ما سبق في اللوحِ المحفوظِ تنبيهاً على أنَّ ما علمه أن سيكون يكون على ما قد علمه لا يتغيَّرُ عن حالهِ. وقيلَ لا يقعُ في قولهِ خلف, وعلى الوجهين قوله : [لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ] {يونس:٦٤} [لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ] {الرُّوم:٣٠} قيل معناه أمرٌ

(٢٥) المخصَّص : ٣ - ٣٧٥.

وهو نهيٌ عن الخصاءِ. والأبدالُ قومٌ صالحون يجعلهم اللهُ مكانَ آخرين مثلهم ماضيين وحقيقته هم الَّذينَ بدَّلوا أحوالَهم الذَّميمةَ بأحوالهم الحميدةِ وهُمُ المُشارُ إليهم بقوله تعالى :[يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] {الفرقان:٧٠}... « (٢٦)

وقد فرَّقَ أبو هلال العسكري بينَ البدلِ والثَّمنِ والعِوض في مُعجمه إذ قالَ ما نصُّه : « البدلُ هو الشَّيءُ الَّذي يُجعلُ مكانَ غيرِهِ. والثَّمنُ : هو البدلُ في البيعِ مِنَ العينِ أو الورقِ. وإذا استُعمِلَ في غيرهما كانَ مُشبَّهاً بِهما كقولِهِ تعالى : [وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ] {البقرة:٤١} إنَّ المُرادَ بهِ الرِّئاسةُ والجاه والحطامُ الدَّنيَّةُ الدِّنيويَّةُ. والعوضُ : هو البدلُ الَّذي ينتفعُ بهِ كائناً ما كان « (٢٧).

وحين فرَّق بينَ العوضِ والثَّوابِ قالَ : « إنَّ العِوضَ يكونُ على فعلِ العوضِ, والثَّوابُ لا يكونُ على فعلِ المثيبِ وأصله المرجوع وهو ما يرجعُ إليه العامل, والثَّوابُ من اللهِ تعالى نعيم يقعُ على وجهِ الإجلالِ وليسَ كذلك العِوضُ لأنَّهُ يستحقُّ بالألمِ فقط وهو مثامنةٌ من غير تعظيمِ فالثَّوابُ يقعُ على جهةِ المكافأةِ على الحقوقِ والعِوضُ يقعُ على جهةِ المثامنةِ في البيوعِ «

وعرَّف صاحبُ (بصائر ذوي التَّمييزِ في لطائف الكتاب العزيز) البدلَ بِما يلي : (٢٨)

(بصيرة في البدل) : وهو الشَّيءُ يكون مكان آخر. وهو أَعمّ من العوَضِ، فإنَّ العوض هو أَن يصير لك الثاني بإعطاءِ الأَوّل. والتَّبديل، والإبدال، والاستبدال: جعل الشَّيءِ مكان آخر.

وقد ورد في القرآن على وجوه:

(٢٦) المفردات في غريب القُرآن : ١ - ٣٩.
(٢٧) معجم الفروق اللُّغويَّة : ١ - ٢٦٠, ٢٦١.
(٢٨) بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروزابادي : ١ - ٥٠٣.

الأَوّل: بمعنى الهلاك {وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً}، {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} أَي نهلك. **الثانى:** بمعنى نسْخ الشريعة والآية: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ} أَي نسخنا، {أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقاءِ نَفْسِي}.

الثالث: بمعنى التغيير: {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ} أَي يغيّرونه، {وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً} ومنه قوله – تعالى {فأولئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} وقيل: هو أَن يعملوا أَعمالاً صالحة تُبطل ما قدّموه من الإساءَة. وقيل: هو أَن يعفو – تعالى – عن سيئاتهم، ويحتسب بحسناتهم {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ} أَي تغيّر عن حالها. وقوله: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} أَي لا يغيّر ما سبق في اللَّوح المحفوظ؛ تنبيهاً على أَن ما علمه أَن سيكون يكون على ما قد علمه، لا يتغيّر عن حاله. وقيل: لا يقع في قوله خُلْف. وعلى الوجهين قوله: {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} وقيل: معناه: النهى عن الخِصاءِ.

الرّابع: بمعنى تجديد الحالة: {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} أَي جَدّدنا.

الخامس: بمعنى اختيار الكفر، والنكرة على الإيمان {وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ}.

السّادس: بمعنى إبليس في طريق الظلم والضلالة: {بِئس لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}.

وقالَ السّيوطيُّ في (الأشباه والنَّظائر) [٢٩]: « الفرقُ بينَ البدلِ والعِوض : وقالَ الزَّمخشريُّ في

(الأحاجي) [٣٠] : معنى العِوضِ أن يقعَ في الكلمةِ انتقاصٌ فيُتداركُ بزيادةِ شيءٍ ليسَ في أخواتِها كما في التَّثنيةِ والجمعِ السَّالمِ بقطعِ الحركةِ والتَّنوينِ عنهما فتدارك ذلك بزيادةِ النُّونِ, والفرقُ بينَ العِوضِ والبدلِ أنَّ البدل يقعُ حيثُ يقعُ المُبدلُ منه, والعِوضُ لا يُراعى فيهِ ذلك, ألا ترى أنَّ

(٢٩) الأشباه والنَّظائر في النَّحو : ١ - ١٢٨.
(٣٠) الأحاجي النَّحويَّة : ٤٦.

العوضَ في اللهمَّ في آخرِ الاسمِ والمعوَّضُ منه في أولهِ.

وقد ألَّفَ ابنُ جنّي (كتاب التَّعاقب) في أقسامِ البدلِ والمُبدلِ منه والعِوضِ والمعوَّضِ منه, وقالَ في أولهِ : اعلمْ أنَّ كُلَّ واحدٍ من ضربي التَّعاقبِ وهُما البدلُ والعِوضُ قد يقعُ في الاستعمالِ موضعَ صاحبهِ, ورُبَّما امتازَ أحدُهما بالموضعِ دونَ وسيلةٍ, إلاَّ أنَّ البدلَ أعمُّ استعمالاً مِنَ العِوضِ, وذلك أنَّا نقول : إنَّ ألفَ (قام) بدلٌ من الواوِ في (قوم), ولا نقول : إنَّها عِوضٌ منها... أو لا ترى إلى سعةِ البدلِ, وضيقِ العِوضِ وكذلك جميعُ ما استقريته تجدُ البدلَ فيهِ شائعاً والعِوضَ ضيّقاً, فكلُّ عِوضٍ بدلٌ وليسَ كُلُّ بدلٍ عِوضاً.

كذا وضعَ هذين اللفظينِ أهلُ هذا العلمِ فاستعملوه في عباراتهم وأجروا عليهِ عاداتهم, وهذا الَّذي رأوه في هذا هو القياسُ, وذلك أنَّ تصرُّفَ (ع وض) في كلامِ العربِ أينَ وقعت إنَّما هو لأن يأتي مُستقبلٌ ثانٍ خلفاً لمُنقضٍ, ومن ذلك تسميتُهم الدَّهر (عوض) لأنَّهُ موضوعٌ على أن ينقضي الجُزءُ منه ويخلفُه جُزءٌ آخرٌ من بعدهِ, ومعلومٌ أنَّ ما يمضي من الدَّهرِ فانٍ لا يُعادُ ومعاد لا يُرتجعُ, ومما وردَ في فوتِ المعوَّضِ منه قوله : (الرَّمل) :

عَاضَها اللهُ غُلاماً بعدما ** شَابتْ الأصداغُ والضَّرسُ نَقِدْ

أي : عوضها اللهُ الولدَ مما أخذه منها من سوادِ الشَّعرِ وصحَّةِ الفمِ, فهذه حالُ تصرُّفِ (ع وض). وليسَ كذلك تصرُّفُ (ب د ل) لأنَّ البدلَ من الشَّيءِ قد يكونُ والشِّيئانِ جميعاً موجودانِ, ألا ترى إلى قولِ النَّحويينِ في : مررْتُ بأخيك زيدٍ, أنَّ زيداً بدلٌ من أخيك, وإن كانا جميعاً موجودين, فأمَّا مَنْ قالَ : إنَّ زيداً مُترجمٌ عن الأخِ, فإنَّهُ لا يأبى أيضاً أن يقولَ : بدل منه, وإنَّما آثرَ لفظ التَّرجمةِ هُنا وإن كانَ يعتقدُ صحَّة لفظ البدلِ فيهِ كألفاظ يختارُها أحدُ الفريقين ويُجيزُ مع ذلك ما أجاز الفريقُ الآخرُ كالجرِّ والخفضِ والصِّفةِ والنَّعتِ والمحلِّ والتَّمييزِ والتَّفسيرِ وغير ذلك.

ومما ينبغي أن تعرفَ فرقاً بينَ البدلِ والعِوضِ أنَّ من حكمِ البدلِ أن يكونَ في موضعِ المُبدلِ منه, والعِوضُ ليسَ بابُه أن يكونَ في موضعِ المعاضِ منه, ألا ترى أنَّ ياءَ (ميزان) بدلٌ من الواوِ الَّتي هي فاؤها وهي مع ذلك واقعةٌ موقعها, وكذلك واو (موسر) بدلٌ من الياءِ الَّتي هي فاؤها وهي في مكانِها, ودالُ (ودَّ) الأولى بدلٌ من تاءِ (وتد) وهي في مكانِها, والألفُ في : (رأيْتُ زيداً) بدلٌ من تنوينه وهي في مكانه, وليسَ أحدٌ يقولُ إنَّ ياءَ (ميزان) عوضٌ من واوِ هـ, ولا ألف (قام) عوض من واوه, ولا ألف (رأيْتُ زيداً) عوض من تنوينه في الوصلِ, وسببُ ذلك ما قدَّمناه من أنَّ (ع وض) إنَّما هي لعدمِ الأوَّلِ وتعويض الثَّاني منه, وليسَ كذلك الألفُ في قامَ وباعَ لأنهما فيها كأنَّهما الواوُ والياءُ, ومتى نطقتَ بواحدٍ من هذهِ الأحرفِ الثَّلاثةِ فكأنَّكَ نطقتَ بالآخرِ, وكذلك الألفُ الَّتي هي بدلٌ من التَّنوينِ ومن نون التَّوكيدِ في (اضربا) جاريةٌ عندهم مجرى ما هي بدل منه حتَّى أنَّهم إذا نطقوا بالألفِ فكأنَّهم قد نطقوا بالنُّونِ, فالألفُ إذاً كأنَّها هي النُّونُ.

وعلى هذا ساقَ سيبويه [٣١] حروفَ البدلِ الأحدَ عشر, لأنَّ كُلَّ واحدٍ منها وقعَ موقعَ المُبدلِ منه لا مُتقدِّماً عليهِ ولا مُتراخياً عنه ولم يُسمِّ شيئاً من ذلك عِوضاً, وليسَ كذلك هاءُ (زنادقة) لأنَّها عوضٌ من ياءِ (زناديق), قيلَ لها عِوض لأنَّها لم تقع موقعَ ما هي عوض منه, وكذلك هاء التَّفعلةِ نحو : التَّقدُّمة والتَّجربة, وتاءُ التَّفعيلِ عوضٌ من عينِ فعَّال فتاءُ (تكذيب) عوضٌ من إحدى عيني (كذَّاب), لأنَّها ليستْ في موضعِها, ولكن ياء التَّفعيلِ بدلٌ من ألفِ فعال لأنَّها في موضعها, ولأنَّ الياءَ أيضاً قريبةُ الشَّبهِ بالألفِ, كأنَّها هي والبدلُ أشبه بالمُبدلِ منه من العوضِ بالمعوَّضِ منه»[٣٢] .

(٣١) الكتاب : ٤ - ٣٦٠.
(٣٢) الأشباه والنَّظائر : ١ - ١٣٠.

*** الفرق بين المصدر واسم المصدر** (٣٣):

أ – المصدرُ الصَّريحُ الأصلي – غير المؤَّول, وغير الميمي, والصِّناعي – هو : (الاسمُ الَّذي يدلُّ – في الغالبِ – على الحدثِ المُجرَّدِ, ويشتملُ على كُلِّ الحروفِ الأصليَّةِ والزَّائدةِ الَّتي يشتملُ عليها الفعلُ الماضي المأخوذ منه. وقد يشتملُ على أكثرَ منها دونَ أن يشتملَ على الميمِ الزَّائدةِ في أولهِ, وهي الَّتي يُبتدئ بِها « المصدرُ الميميُّ « ودونَ أن يُختمَ بالياءِ المُشدَّدةِ تليها تاءُ التَّأنيثِ, وهُما اللذانِ يُختمُ بِهما المصدرُ الصِّناعيُّ «. وهذا التَّعريفُ يتضمَّنُ أمرين معاً :

أحدهما : يتعلَّقُ بدلالتهِ المعنويَّةِ, والآخرُ : يتعلَّقُ بصيغتهِ اللفظيَّةِ. فأمَّا من ناحيةِ دلالتهِ المعنويَّةِ فإنَّهُ يدلُّ في الغالبِ على مُجرَّدِ الحدثِ. أي : يدلُّ على أمرٍ معنويٍّ محضٍ, لا صلةَ لهُ بزمانٍ, ولا بمكانٍ, ولا بذاتٍ, ولا بعلميَّةٍ, ولا بتذكيرٍ, أو تأنيثٍ, ولا بإفرادٍ, أو جمعٍ أو غيرِهِ – إلاَّ إن كانَ دالاً على « مرَّةٍ «, أو هيئةٍ «.

وأمَّا من ناحيةِ تكوينهِ اللفظيّ فلابُدَّ أن يكونَ جامداً مُشتملاً على جميعِ حروفِ فعلهِ الماضي, أو على أكثرَ منها... ولا يُمكنُ أن ينقصَ عنه في الحروفِ. خُذ مثلاً المصدرُ : « تحسُّن « فإنَّهُ يدلُّ على أمرٍ عقليٍّ محضٍ, نُدركُه بعقولِنا, ولا نستطيعُ أن نحسَّهُ بحاسةٍ من حواسِّنا ؛ إذ لا وجودَ لشيءٍ في خارجِ عقولنا يُقالُ لهُ : « تحسُّن « يُمكنُنا أن نلمسَهُ, أو نسمعَهُ, أو نذوقَهُ, أو نشمَّهُ. فليسَ لهُ وجودٌ مادِّيٌّ تقعُ عليهِ إحدى الحواسِ ؛ وإنَّما وجودٌ محصورٌ في الذِّهنِ وحدِهِ, وهذا معنى كونُه حدثاً مُجرَّداً, أو أمراً معنويَّاً محضاً, أو نحو هذا من الأسماءِ. ثُمَّ إنَّ هذا اللفظِ الجامدِ (وهو : تحسُّن) لا يدلُّ على زمنٍ مُطلقاً (ماضي, أو حال, أو مُستقبل), ولا يدلُّ كذلك على مكانٍ, ولا ذاتٍ (وهي : الجسمُ, أو : المادةُ المُجسدةُ) وليسَ علماً على شيءٍ خاصٍّ مُعيَّنٍ, يدلُّ عليهِ كما يدلُّ العلمُ على صاحبهِ. فكلُّ أمرهِ مقصورٌ على الدَّلالةِ المعنويَّةِ السَّابقةِ. وهو إلى ذلك مشتملٌ على

(٣٣) أفدت في هذا من كتاب : النَّحو الوافي : ٣ - ٢٠٧ — ٢١٠.

جميعِ حروفِ فعلهِ الماضي : تَحَسَّنَ.

ومن أجلِ هذا كُلِّهِ يُسمَّى « مصدراً « لانطباقِ التَّعريفِ عليهِ. بخلافِ المصدرِ المؤَّولِ ؛ فإنَّهُ يدلُّ على زمنٍ وغيرهِ... ومما يزيدُ الأمرَ وضوحاً : ما يأتي :

(١) حينَ نقولُ : « تَحَسَّنَ « أو « يتحسَّنُ « أو « تَحسَّنْ « نجدُ كُلَّ كلمةٍ مُستقلَّةٍ من هذه الكلماتِ لابُدَّ أن تدلَّ على أمرين معاً ؛ هُما : المعنى المحض السَّالفِ (أي : الحدثِ المُجرَّدِ) والزَّمانِ (ماضياً – أو حالاً – أو مُستقبلاً... و...) ولا يُمكنُ أن تؤَدِّيَ أمراً واحداً دونَ الآخرِ ؛ ولذلك لا تُسمَّى : « مصدراً «, وإنَّما تُسمَّى : « فعلاً «. فالمصدرُ الصَّريحُ – غير الدَّالِّ على المرَّةِ أو الهيئةِ يؤدِّي شيئاً واحداً من شيئين يؤدِّيهما الفعلُ, وهذا الشَّيءُ الواحدُ هو ما سوى الزَّمان. وفيهِ يقولُ ابن مالك :

المصْدرُ اسْمُ ما سِوى الزَّمانِ مِنْ ** مَدْلُولَي الفعلِ كَأمْنٍ مِنْ أَمِنْ

(٢) وإنَّنا حينَ نقولُ : « مُتحسَّن « نفهمُ من هذه الكلمةِ – دونَ الاستعانةِ بغيرها – أمرين معاً ؛ وهُما : المعنى المحضَّ (أي : الحدث المُجرَّد) الَّذي أوضحناه, و» الذَّات « أي : المادةَ المُجسَّدةَ المُجمَّدةَ, أو : « الجسم « الَّذي يتَّصفُ بالتَّحسُّنِ, فلابُدَّ من المعنى والذَّاتِ معاً. ولهذا لا تصلحُ كلمةُ « مُتحسَّن « لأنَّ تُسمَّى : « مصدراً « ولا فعلاً, وإنَّما تُسمَّى : اسم فا عل . . .

(٣) وفي مثلِ : أعطيْتُ المحتاجَ عطاءً يكفيه, نجدُ كلمةَ : « عطاء « تدلُّ على معنى مُجرَّدٍ محضٍ, ولا تدلُّ معهُ على شيءٍ آخرٍ. ولكنَّها لا تشتملُ على جميعِ الحروفِ الَّتي في فعلِها المذكورِ في جُملتِها ؛ إذ الهمزةُ الأولى غيرُ موجودةٍ لفظاً ولا تقديراً. ومن هُنا لا نستطيعُ أن نُسمِّيَ كلمةَ : « عطاء «مصدراً للفعلِ الماضي : « أعطى « وإنَّما نُسميها :» اسم مصدر»؛ وسُنعرِّفه هُنا. ومثلُها : كلمة « سلام « و» عون « في

نحوِ : سلمْتُ على اللاجئِ سلامَ الأخِ, وعاونتُه عونَ الشَّقيقِ ؛ فإنَّ كُلَّ واحدةٍ منهما لا تصلحُ مصدراً للفعلِ المذكورِ معها (بالرَّغم أنَّها تصلحُ لغيره) لأنَّ حروفَها خاليةٌ لفظاً وتقديراً من بعضِ حروفِ فعلها, فكلمةُ : « سلام « تشتملُ على « لا « واحدةٍ مع أنَّ فعلَها المذكورَ في جُملتها مُشتملٌ على لامٍ مُشدَّدةٍ تُعدُّ لامين. وكلمة « عون « خاليةٌ من الألفِ الَّتي في فعلِها المذكورِ معها, فكلاهُما ليسَ مصدراً, وإنَّما يُسمَّى : « اسم مصدر «.

(٥) وفي مثلِ : بَرَّة ؛ بمعنى : البِرّ, وسُبحان بمعنى : التَّسبيح, وحَمَادٍ, بمعنى : الحمد – نجدُ هذه الكلماتِ وأشباهَها, تدلُّ على الحدثِ المُجرَّدِ, ولا تدلُّ معه على ذاتٍ, ولا زمانٍ, ولا غيره ولكنَّنا لا نستطيعُ أن نُسميها « مصادر « ؛ لأنَّ كُلَّ واحدةٍ منها صارت علم جنس « يدلُّ على المعنى الخاصِّ بهِ ؛ فكلمةُ : « برَّة « علم على جنس « البرة « بمعنى : البر, و» سبحان « علم جنس على : التَّسبيحِ, و « حَمَادٍ « علم جنس على : الحمد ؛ فهي ونظائرها أسماءُ مصادرٍ.

وقد قُلنا إنَّ المصدرَ لابُدَّ أن يشتملَ على كُلِّ حروفِ فعلهِ الماضي, أو على أكثر منها. والمُرادُ اشتمالهُ عليها لفظاً أو تقديراً. فاللفظيُّ أن تكونَ جميعُ الحروفِ موجودةً منطوقاً بِها ؛ نحو : أخذْتُ أخذاً – تعلَّمَ الصَّبيُ تعلُّماً – والتَّقديريُّ : أن يكونَ الحرفُ محذوفاً قد عُوِّضَ عنه حرفٌ آخرٌ, كمجيءِ تاء التَّأنيثِ في آخرِ المصدرِ عِوضاً عن واوِ الفعلِ, في مثل وَعَدَ, عِدةَ, وكالتَّاءِ أيضاً حينَ تكونُ في أوَّلِهِ عِوضاً, مثل سَلَّمَ تسليماً, وعلَّمَ تعليماً ؛ فإنَّ إدى اللامين حُذِفَتْ من المصدرِ وجاءَتْ في أوَّلهِ التَّاءُ عِوضاً. أو يكون الحرفُ محذوفاً للتَّخفيفِ وكثرةِ الاستعمالِ, مع ظهوره أحياناً في بعضِ اللهجاتِ واللُّغاتِ ؛ مثل : ضارب ضِراباً – قاتلَ قِتالاً... والأصلُ : ضِيراباً وقيتالاً ؛ فقُلِبَتْ الألفُ ياءً لوقوعها بعد الكسرةِ, ثُمَّ حُذِفَتْ تخفيفاً, ومن العربِ مَن كانَ يُظهرُها.

ومثالُ اشتمال المصدر على حروفٍ أكثر من حروفِ فعلهِ الماضي : إكرام, وإجمال – وأشباهُها فإنَّهما مصدرانِ للفعلين : « أكرم وأجمل « وقد زِيدَ في وسطِ كُلٍّ منهما الألفُ. ومثل : « فُرقان « مصدر « فَرَقَ « فقد زِيدَ في وسطه الألفُ. ومثل الألف التَّاءُ في كلمةِ : « معاونة « مصدر : عاون.

ب – وأمَّا اسمُ المصدر (وهو مقصورٌ على السَّماعِ) فقالوا في تعريفهِ : « إنَّهُ ما ساوى المصدرَ في الدَّلالةِ على معناه, وخالفه بخلوِّه لفظاً وتقديراً من بعضِ حروفِ عاملهِ – الفعل أو غيره – دونَ تعويضٍ «. وذلك كعطاء ؛ فإنَّهُ مساوٍ لإعطاءِ في المعنى, ومُخالفٌ لهُ بنقص الهمزةِ الأولى لفظاً وتقديراً من غيرِ أن يعوَّضَ عنها شيء. فإن خلا منه لفظاً ولم يخل تقديراً فليسَ اسم مصدر ؛ وإنَّما هو مصدرٌ – كما تقدَّم – مثل كلمةِ قتال ؛ فإنَّ أصلَها : قيتال, على الوجهِ الَّذي شرحناه في هذه الصَّفحةِ, وإن خلا منه لفظاً ولكن مع تعويضٍ عنه فليسَ باسم مصدرٍ, وإنَّما هو مصدرٌ أصيلٌ ؛ نحو : عدة, مصدرُ الفعلِ « وعد « فقد حُذِفَت الواوُ, وجاءت التَّاءُ في آخرِ الاسمِ عوضاً عنها ؛ كما قُلنا آنفاً. فلابُدَّ في اسمِ المصدرِ من نقصِ بعضِ حروفهِ الأصليَّةِ أو الزَّائدةِ. وأن يكونَ النَّقصُ بغيرِ تعويضٍ عنه, وبغيرِ وجودِ المحذوفِ مُقدَّراً.

إنَّ الفرقَ اللفظيَّ بينَ المصدرِ الأصليّ واسمِ المصدرِ واضحٌ مما سبقَ (ولا سيَّما قصر « اسم المصدر « على السَّماعِ, أمَّا المصدرُ الأصليُّ فنه القياسيُّ ومنه السَّماعيُّ...) ولكنَّ الفرقَ المعنويَّ بينهما في حاجةٍ إلى تجليةٍ وإبانةٍ. فما معنى : « أنَّ اسمَ المصدر يساوي المصدرَ في الدَّلالةِ على معناه « ؟

ذهبَ النُّحاةُ في الإيضاحِ مذاهبَ لا تخلو من غموضٍ أو نقصٍ. ولعلَّ خيرَها ما جاءَ في كتاب « الأشباه والنَّظائر « للسِّيوطي, منسوباً لابنِ النَّحَّاسِ : قالَ ما نصُّه : « الفرقُ بينهما أنَّ المصدرَ في الحقيقةِ هو الفعلُ

الصَّادرُ عن الإنسانِ وغيرِهِ ؛ كقولنا : إنَّ كلمةَ « « ضَرْب « هي مصدرٌ في قولنا : يعجبني ضربُ زيد عمراً. فيكونُ مدلولُه : « معنى « (يقصدُ : أنَّ مدلولَ كلمةِ « المصدر « ومفهومها ومسمَّاها, هو أمرٌ معنويٌّ محضٌ, وأنَّهُ هو المصدرُ حقيقةً, لا مجازاً. أمَّا اللفظُ المذكورُ في الجُملةِ, المُركَّبُ من حروفٍ هجائيَّةٍ مُعيَّنةٍ, فليسَ بالمصدرِ الحقيقي) وسمَّوا ما يُعبَّرُ بهِ عنه مصدراً, « مجازاً «, (أي : تسمية مجازيَّة, لا حقيقيَّة) – نحو : « ضرْب « في قولنا : إنَّ : « ضرْباً « مصدرٌ منصوبٌ, فإذا قلت : ضربْتُ ضرْباً ؛ فيكون مسمَّاه لفظاً). أ هـ.

فهو يُريدُ, أنَّ كلمةَ « ضرباً « هي المُسمَّى اللفظيُّ المجازيُّ لكلمةِ : مصدر. ومُقتضى هذا أنَّ كلمة. « مصدر « اسمٌ لهُ مدلولانِ أو مفهومانِ, وإن شئتَ فقل : لهُ مُسمَّيانِ, أحدهما : معنويٌّ محضٌ ؛ هو الحدثُ المُجرَّدُ, وهذا الحدثُ هو المُسمَّى الحقيقيُّ – لا المجازيُّ – لكلمةِ مصدرٍ. والمُسمَّى الآخرُ لفظيٌّ ؛ وهو اللَّفظُ الَّذي ننطِّقُ بهِ, أو نكتبُهُ, والَّذي نقولُ في إعرابهِ : إنَّهُ مصدرٌ منصوبٌ, وهو المصدرُ المجازيُّ المُرادُ منه المصدر الحقيقي المعنوي – ثُمَّ قالَ بعد ذلك : (واسمُ المصدرِ اسمٌ للمعنى الصَّادرِ عن الإنسانِ وغيره ؛ كسُبحان ؛ المُسمَّى بهِ : « التَّسبيح « الصَّادرُ عن الشَّخصِ المُسبِّحِ – مثلاً – لا لفظ التَّاء, والسِّين, والباء, والياء, والحاء, بل المعنى المعبَّر عنه بهذهِ الحروفِ, ومعناه البراءة والتَّنزيه.

ويُفهمُ مما سبقَ أنَّ اسمَ المصدرِ كالمصدرِ المجازي السَّالف ؛ كلاهما يدلُّ مباشرةً على الحدثِ المُجرَّدِ من غيرِ واسطةٍ. ولكن كثيراً من المُحقِّقين يقولون إنَّ اسمَ المصدرِ يدلُّ مباشرةً على لفظِ المصدرِ لا على الحدثِ المُجرَّدِ, وأنَّ دلالتَهُ على لفظِ المصدرِ تؤدِّي – تبعاً – إلى الدَّلالةِ على معنى المصدرِ, وبذا تكونُ دلالتُهُ على الحدثِ المُجرَّدِ دلالةً غيرَ مُباشرةٍ, وإنَّما هي بالواسطةِ ؛ إذ هي من طريقِ المصدرِ.

ومن أوضحِ أسماء المصدر كُلُّ اسمٍ يدلُّ على معنى مُجرَّدٍ, وليسَ لهُ فعلٌ من لفظهِ يجري عليهِ ؛ كالقَهْقَرَى ؛ فإنَّهُ لِنوعٍ من الرُّجوعِ, ولا فعلَ

لـهُ – فـي المشـهورِ – يجـري عليـهِ مـن لفظـهِ. وكذلـك كلُّ اسمٍ يـدلُّ علـى معنـى مُجردٍ, ويجـري علـى وزن مصـدر الثُّلاثـي, مـع أنَّ الفعـلَ المذكـورَ معـه فـي الجُملـةِ غيـرُ ثلاثـيٍّ ؛ مثـل : توضـأ وضـوءاً, وأعـانَ عونـاً, ومـا شـابهما مـن الـواردِ المسـموعِ – كالشَّـأنِ فـي جميـعِ أسـماءِ المصـادرِ فإنَّهـا مُقيَّـدةٌ بالسَّماعِ. (٣٤)

(٣٤) النَّحو الوافي : ٣ — ٢١٠.

الفصل الأوَّل

إقامة المصدر مقام الفعل

ذهب النُّحاةُ والمُفسِّرون إلى أنَّ المصدرَ يقومُ مَقامَ الفعلِ, إذ قال ابنُ فارس في كتابهِ « الصَّاحبي » [٣٥]: « من سُننِ العربِ التَّعويضُ « وهو : إقامةُ الكلمةِ مُقَامَ الكلمةِ.... ومن ذلك : إقامةُ المصدرِ مُقامَ الأمرِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ] {الرُّوم:١٧} والسُّبحةُ : الصَّلاةُ. يقولونَ : « سَبِّحْ سُبْحَةَ الضُّحى «. فتأويلُ الآيةِ : سَبِّحوا للهِ جلَّ ثناؤه, فصارَ في معنى الأمرِ والإغراءِ, كقولهِ جلَّ ثناؤه : [فَضَرْبَ الرِّقَابِ] {محمد:٤}.

وقالَ الطَّبريُّ : « من شأن العرب – إذا وضعوا المصادرَ مواضعَ الأفعالِ، وحذفوا الأفعالَ– أن ينصبوا المصادرَ. كما قال الشاعر:

أبيدوا بأيدي عصبة وسيوفهم ** على أمهات الهام ضربا شآميا [٣٦]

وكقول القائل للرجل:»سمعا وطاعة» بمعنى: أسمع سمعا وأطيع طاعة، وكما قال جل ثناؤه:(معاذ الله) [يوسف: ٢٣] بمعنى: نعوذ بالله.» [٣٧]

وعند تفسيره لقوله تعالى : [وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ] {البقرة:٢٨٥} قالَ الفخرُ الرَّازيُّ : « قوله {غُفْرَانَكَ} تقديره : اغفر غفرانك، ويُستغني بالمصدرِ عن الفعلِ في الدُّعاءِ نحو سقياً ورعياً، قال الفرَّاءُ : هو مصدرٌ وقعَ موقعَ الأمر فنصب، ومثله الصَّلاةَ الصَّلاةَ، والأسدَ

(٣٥) الصَّاحبي في فقه اللُّغة العربيَّة وسنن العرب في كلامها : ص ٣٩٤ - ٣٩٧. لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ), شرح وتحقيق السَّيِّد أحمد صقر, تقديم د, عبده الرَّاجحي, سلسلة الذَّخائر (٩٩) الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣م.

(٣٦) هو الفرزدق, ديوانه: ٨٩٠ في قصيدة يمدح فيها يزيد عبد الملك، ويذكر إيقاعه بيزيد بن المهلب في سنة ١٠٢ (انظر خبره في تاريخ الطبري ٨: ١٥١ - ١٦٠). ورواية ديوانه. «أناخوا بأيدى طاعة، وسيوفهم» قوله:»أناخوا»، أي ذلوا وخضعوا، أو صرعوا فماتوا، كأنهم إبل أناخت واستقرت. وقوله:»أيدي طاعة»، أي أهل طاعة.

(٣٧) جامع البيان : ٢ - ١٠٨, ١٠٩.

الأسدَ، وهذا أولى من قول من قال : نسألك غفرانك لأنَّ هذه الصِّيغةَ لمَّا كانت موضوعةً لهذا المعنى ابتداء كانت أدلَّ عليه، ونظيره قولك :حمداً حمداً،وشكراً شكراً، أي أحمد حمداً،وأشكر شكر. «[٣٨]

وعند تعريفه لمعنى المصدرِ قالَ الدُّكتور محمَّد عيد [٣٩] : « جاءَ في(قطرِ النَّدى) في تحديد المصدرِ:» هو الاسمُ الدَّالُّ على الحدثِ الجاري على الفعلِ «. ومن هذا التَّحديدِ – يُفهمُ ما يلي :

(أ) أنَّ المصدرَ يُشاركُ فعلَه في معناه, فكلٌّ منهما يدلُّ على الحدثِ.

(ب) أنَّ المصدرَ يُشاركُ فعلَهُ في حروفهِ, فالحروفُ الموجودةُ في الفعلِ توجدُ أيضاً في المصدرِ بلا نُقصانِ. تأمَّل : (قرَّ : قراراً, جاهد : جهاداً, أفادَ : إفادةً, تقدَّمَ : تقدُّم, ارتقى : ارتقاءً, استراح : استراحةً).

(ج) ينفردُ الفعلُ بأنَّهُ يدلُّ على الزَّمنِ ولا يدلُّ عليهِ المصدرُ.

وتحت عنوان : – المصدرُ الَّذي يعملُ عملَ الفعلِ : قالَ : « ليست كلُّ المصادرِ الَّتي ينطبقُ عليها التَّعريفُ السَّابقِ يُمكنُ أن تؤدِّي عملَ أفعالِها من الرَّفعِ والنَّصبِ, لكن الَّذي ينفردُ بذلك ما يتوافرُ لهُ صفاتٌ خاصَّةٌ في الجُملةِ الَّتي يردُ فيها, وبعضُ هذه الصِّفاتِ يعودُ إلى القيامِ بعملٍ ذهنيٍّ – تجربة – يتخيلها الذِّهنُ فيحدّدُ على أساسها ما يصلحُ من المصادرِ للقيامِ بعملِ الأفعالِ وما لا يصلحُ لذلك – كما أنَّ بعضَ هذه الصِّفاتِ سلبيٌّ, بمعنى أنَّهُ يجبُ تجرُّدُ المصادر الَّتي تقومُ بعملِ الأفعالِ منه حتَّى تصلحَ لأداءِ هذهِ المهمَّةِ. وإليك تفصيلُ كلا النوعين :

(٣٨) مفاتيح الغيب : ١ - ١٠٦٧.
(٣٩) النَّحو المُصفَّى : ص ٥١٧ - ٥٢٠. النَّاشر عالم الكُتب بالقاهرة, الطَّبعة الثَّانية ١٣٤٠ هـ - ٢٠٠٩م.

د/ عزَّت توفيق مصطفى الجريتلي

أولاً : التَّجربة الذِّهنيَّة :

المقصودُ بِها تصور أن يحلَّ محلَّ المصدرِ في جُملتهِ أحدُ أمرين :

(أ) « أن « المصدريَّة والفعل ماضياً أو مضارعاً.

(ب) « ما « المصدريَّة والفعل.

فإذا لم يصلح المصدرُ لهذهِ التَّجربةِ في جُملتهِ, فإنَّهُ – كما قلنا – لا يؤدِّي عملَ الفعلِ مما سبقَ شرحه بالتَّفصيلِ في (عمل الأفعالِ في الجُملةِ). وعلى ذلك فلنلاحظُ الأمثلةَ التَّاليةَ :

– مِنْ عواملِ السَّلامةِ تدبُّركَ الأمورَ بهدوءٍ = مِنْ عواملِ السَّلامةِ أنْ تتدبَّرَ الأمورَ بهدوءٍ.

– ومِنْ عواملِ النَّدامةِ تَعَجُّلُكَ الغايةَ بانفعالٍ = ومِنْ عواملِ النَّدامةِ أنْ تتعجَّلَ الغايةَ بانفعالٍ.

– فرحَ المُتأنِّي بتحقيقِ رغبته ابتهاجاً : لا يُمكنُ القيام بالعملِ الذِّهني السَّابق.

– وحزن المُتعجِّلُ لضياعِ الفرصة ندماً : المصدرُ لا يعملُ عملَ الفعلِ.

ثانياً : الصِّفاتُ السَّلبيَّة :

المقصودُ بها أن يتجرَّدَ المصدرُ الَّذي يقومُ بعمل الفعل منها, ومن المفيد قبل ذكرها أن نعلمَ أنَّ كُلَّ صفةٍ من هذه الصِّفاتِ موضع أخذ وردّ كثيرين بين علماء النَّحوِ, مما لا داعي لذكره هنا – وإليك إذن أهمّ هذه الصِّفات :

(١) ألاَّ يكونَ المصدرُ مُصغَّراً ولا مجموعاً, والحقُّ أنَّ المصدرَ – كما سبق في المفعولِ المُطلقِ – لا يكادُ يردُ في اللُّغةِ مُصغَّراً أو مجموعاً – مثل

(تجارب – مواعيد – إنشاءات) ومع ذلك يرى بعضُ النُّحاةِ صحَّةَ قيام المصدر المجموع بعملِ الفعلِ, ومن ذلك قولُ الشَّاعر :

وَعَدْتَ وَكَانَ الخُلْفُ منك سَجِيَّةً ** مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ (٤٠)

(٢) ألاَّ يكونَ المصدرُ ضميراً, بأن يكونَ ضميراً يعودُ على مصدرٍ سابقٍ أو مُتخيَّلٍ من الكلامِ, والحقُّ أنَّ المصدرَ يقلُّ وروده في اللُّغةِ ضميراً كقولِ اللهِ تعالى : [فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ] {المائدة:١١٥} فالضَّميرُ في (أعذبه) يعودُ على (العذابِ) السَّابقِ في الآيةِ.

(٣) ألاَّ يكونَ المصدرُ دالاًّ على المرَّةِ, مثل (رَمْية – جَزْعَة – نوْبَة – لَقطَة) – وخالفَ في ذلك بعضُ النُّحاةِ, فأعملوا المصدرَ الدَّالَّ على المرَّةِ استدلالاً بقولِ الشَّاعرِ يصفُ الصَّحراءَ

وَدَاوِيَّةٍ قَفْرٍ يَحَارُ بِها القَطَا ** أدلَّةُ رَكْبَيْها بناتُ النَّجائِبِ

يُحابي بِها الجَلْدُ الَّذي هو راكبٌ ** بضَرْبَةِ كفَّيهِ المَلا نَفْس رَاكبِ (٤١)

ويبدو أنَّ لهذا الرَّأي الأخيرِ وجاهته, والذَّوقُ اللُّغويُّ يقبله, إذ تقول : (أفادتْ رميةُ حارسِ المرمى الكرةَ فريقَه) وتقول : (جاءت لقطةُ آلةِ التَّصويرِ الصُّورةَ محكمةً).

(٤) ألاَّ يوصفَ المصدرُ قبل أن يؤدِّي عملَه في الجُملةِ – وخالفَ في ذلك بعضُ النُّحاةِ, فأعملوا المصدرَ الموصوفَ مُطلقاً, ومن ذلك قولُ

(٤٠) سجية : طبعا وخلق - عُرقوب : اسم رجل يُضربُ بهِ المثل بين العربِ في إخلافِ المواعيد - يثرب : مدينة الرَّسول صلىَّ الله عليه وسلَّمَ. يقول لقد وعدت وأخلفت, وهذا من طبعك, مواعيدك لا يوثقُ بها كمواعيدِ عُرقوب أخاه بيثرب, إذ كانَ دوماً يخلفُ فيها !!. والشَّاهدُ في قوله : « مواعيد عرقوب أخاه « إذ أعملَ المصدرَ « مواعيدَ « وهو جمعُ « موعد « وهذا اتِّجاه لبعضِ النُّحاةِ.

(٤١) الدَّاويَّة - بتشديدِ الياءِ — الصَّحراءُ الشَّاسعة - قفر : جرداء - القطا : من طيور الصَّحراءِ الَّتي تعرفُ فيها - بنات النَّجائب : النياق النَّجيبة - بها : الصَّحراء - الجلد : الصَّبور : القادر على احتمالِ المكاره - بضربة كفيه الملا : التَّيمم. يقول : ربُّ صحراءٍ شاسعةٍ يضلُّ سالكُها من الإنسان والطُّيورِ حتَّى القطا سلكتها مع صاحبي بدون دليلٍ سوى ما نركبه من النِّياقِ النَّجيبةِ, فلمَّا عطشت وأشرفت على الهلاكِ, قدَّم لي صاحبي الماءَ الَّذي معه فأحياني بهِ, وتيمَّم إذ لم يجد الماءَ. الشَّاهدَ : في قوله (بضربة كفيه الملا) إذ أعملَ المصدرَ « اسم المرَّة « فأضافه للفاعلِ, ونصبَ بعده المفعولَ بهِ.

الشَّاعرِ :

إنَّ وجْدي بك الشَّديدَ أراني ** عاذراً فيك من عهِدْتُ عذولاً (٤٢)

ولهذا الرَّأي المُخالف وجاهته, والذَّوقُ اللُّغويُّ يقبله, إذ تقول : (قدَّمت مشاركتي الجادَّةُ الأصدقاءَ معاونةً أكيدةً لهم) وتقول : (كان توقُّعي الشَّديدُ الخطرَ نجاةً لِي).

هذا وأرى أن يُتركَ الحديثُ عن بقيَّةِ الصِّفاتِ السَّلبيَّةِ, فكلُّها موضعُ أخذٍ وردٍّ لا يدرى معه وجهُ اليقين, خصوصاً أنَّ هذه الصِّفاتِ السَّلبيَّةَ وكذلك التَّجربةَ وسائلٌ غيرُ لُغويَّةٍ, لكن ذُكِرَتْ هُنا من بابِ « العلم بالشَّيءِ « لا من بابِ العلمِ باللُّغةِ (٤٣).

*** شواهد المبحث :**

وقد استدلُّوا على ذلك بمجموعةٍ من الشَّواهدِ جاءت على النَّحو التَّالي :

*** الشَّاهد الأوَّل : قوله تعالى : [الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ] {الفاتحة:٢}**

قال الفرَّاءُ : (٤٤) في كتابه (معاني القرآن) قولهُ تعالى : [الحَمْدُ لِلهِ...] {الفاتحة:٢} اجتمعَ القُرَّاءُ على رفعِ « الحمد «. وأمَّا أهلُ البدوِ فمنهم مَن يقولُ : « الحمدَ للهِ «. ومنهم مَن يقول : « الحمدِ للهِ «. ومنهم مَن يقولُ : « الحمدُ لُلَّهِ « فيرفعُ الدَّالَ واللَّامَ. فأمَّا مَن نصبَ فإنَّهُ يقولُ : « الحمدَ « ليسَ باسمٍ إنَّما هو مصدرٌ ؛ يجوزُ لقائلهِ أن يقولَ : أحمدُ اللهَ, فإذا صَلُحَ مكانَ المصدرِ (فَعَلَ أو يفعلُ (٤٥) جازَ فيهِ النَّصبُ ؛ من ذلك قولُ اِلله

(٤٢) عاذراً : من يقدِّم تعاطفاً ومودة - عذولًا : لائماً شامتاً. الشَّاهد في قولهِ (إنَّ وجْدِي بك الشَّديدَ) حيثُ وصف المصر « وجدي « بصفة هي « الشَّديد « وقامَ بعمل الفعل, فأضيف إلى فاعلهِ وهو ياء المُتكلِّم, وتعلَّق بهِ الجارُّ والمجرورُ « بك «.

(٤٣) النَّحو المُصفَّى : ٥٢٠.

(٤٤) معاني القرآن : ص ١- ٣, لأبي زكريا يحيي بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧ هـ), تحقيق أحمد يوسف نجاتي, ومحمد علي النَّجَّار, الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م. الطبعة الثانية.

(٤٥) يريد الماضي أو المضارع, والأمر عند الكوفيين قطعة من المضارع.

تبارك وتعالى : [فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ] {محمد:٤} يصلحُ مكانها في مثله من الكلامِ أن يقولَ : فاضربوا الرِّقابَ. ومن ذلك قوله : [قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ] {يوسف:٧٩} ؛ يصلحُ أن تقولَ في مثلهِ من الكلامِ : نعوذُ باللهِ. ومنه قوُ العربِ : سُقياً لكَ, ورعياً لكَ, يجوزُ مكانهُ : سقاك اللهُ, ورعاك اللهُ. «

وقد أكَّدَ صاحبُ (الكشَّافِ) كلامَ الفرَّاءِ, إذا قالَ : « والحمدُ نقيضُه الذَّمُّ والشُّكرُ نقيضُه الكفرانُ, وارتفاعُ الحمدِ بالابتداء وخبره الظَّرف الذي هو (لله) وأصلُه النَّصبُ الَّذي هو قراءةُ بعضهم بإضمار فعله على أنَّه من المصادرِ الَّتي تنصبُها العربُ بأفعالٍ مضمرةٍ في معنى الإخبار كقولهم : شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذَ الله ينزلونها منزلةَ أفعالِها ويسدون بها مسدَّها لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالَها كالشريعةِ المنسوخةِ, والعدل بها عن النَّصب إلى الرَّفعِ على الابتداءِ للدلالةِ على ثبات المعنى واستقراره. ومنه قوله تعالى : [قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ] {هود:٦٩} رفع السَّلام الثَّاني للدلالةِ على أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ حيَّاهم بتحيةٍ أحسن من تحيتهم لأنَّ الرَّفعَ دالٌّ على معنى ثبات السَّلام لهم دون تجدده وحدوثه, والمعنى نحمدُ اللهَ حمدًا... « (٤٦)

وأكَّدَ العُكبريُّ كلامهما ورأى أنَّ قراءةَ الرَّفعِ أجودُ من القراءاتِ الأُخرى, إذ قالَ :(٤٧)

« الجمهورُ على رفعِ (الحمدُ) بالابتداء و(للهِ) الخبرُ, واللامُ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ أي واجب أو ثابت, ويُقرأُ الحمدَ بالنَّصبِ على أنَّهُ مصدرُ فعلٍ محذوفٍ : أي أحمدُ الحمدَ, والرَّفعُ أجودٌ لأنَّ فيهِ عموماً في المعنى. «

وفي توجيههِ لهذه الآية قالَ أبو حيَّان : « وقراءةُ الرَّفعِ أمكنُ في المعنى ولهذا أجمعَ عليها السَّبعةُ لأنَّها تدلُّ على ثبوتِ الحمد واستقراره

(٤٦) الكشَّاف : ١ - ٥٢.
(٤٧) التِّبيان في إعراب القرآن : ٥. لأبي البيقاء عبد الله بن الحُسين العُكبريُّ (٥٣٨ - ٦١٦ هـ) مكتبة جزيرة الورد, ومكتبة الإيمان.بالقاهرة.

للهِ تعالى فيكونُ قد أخبرَ بأنَّ الحمدَ مستقرٌّ للهِ تعالى أي حمده وحمد غيره. ومعنى اللام في لله الاستحقاقُ ومَن نصبَ فلا بدَّ من عاملٍ تقديره أحمدُ اللهَ أو حمدْتُ اللهَ فيتخصصُ الحمدُ بتخصيص فاعله وأشعرَ بالتَّجددِ والحدوثِ ويكونُ في حالةِ النَّصبِ من المصادرِ الَّتي حُذِفتْ أفعالُها وأقيمتْ مقامَها وذلك في الأخبار نحو: شكرا لا كفرا. وقدَّرَ بعضُهم العاملَ للنصبِ فعلا غيره مشتقٌّ من الحمدِ أي : أقولُ الحمدَ للهِ أو الزموا الحمدَ للهِ كما حذفوه من نحو اللهمَّ ضبعا وذئبا, والأوَّل هو الصَّحيحُ لدلالة اللفظ عليه. وفي قراءةِ النَّصبِ اللام للتبيين كما قال: أعني لله, ولا تكون مقويةً للتعدية فيكونُ لله في موضع نصب بالمصدرِ لامتناع عمله فيه. قالوا: سقيا لزيد, ولم يقولوا: سقيا زيدا فيعملونه فيه فدلَّ على أنَّه ليس من معمولِ المصدرِ بل صار على عاملٍ آخر.» (٤٨)

ويرى صاحبُ (الدُّر المصون) أنَّ قراءةَ النَّصبِ قراءةٌ شاذَّةٌ, إذ وجه الآية بقولهِ : « وقرئ شاذاً بنصب الدال من «الحمد»، وفيه وجهان: أظهرهُما أنه منصوب على المصدرية، ثم حُذِف العاملُ، وناب المصدرُ مَنَابَه، كقولهم في الإخبار: «حمداً وشكراً لا كُفْراً»، والتقدير: أَحْمَدُ الله حَمْداً فهو مصدرٌ نابَ عن جملة خبرية. وقال الطبري: إن في ضمنه أمرَ عبادِه أن يُثْنوا به عليه، فكأنه قال: قولوا الحمدَ لله، وعلى هذا يجيء «قولوا إياك» فعلى هذه العبارة يكون من المصادر النائبة عن الطلب لا الخبر، وهو محتملٌ للوجهين، ولكنَّ كونَه خبرياً أَوْلَى من كونه طلبياً؛ ولا يجوز إظهارُ هذا الناصبِ لِئلاّ يُجْمَع بين البدلِ والمُبْدلِ منه. والثاني: أنه منصوبٌ على المفعول به أي اقرؤوا الحمدَ، أو اتلوا الحمدَ، كقولهم: «اللهم ضَبُعاً وذئْباً»، أي اجمَعْ ضبُعاً، والأولُ أحسن للدلالةِ اللفظيةِ.

وقراءةُ الرفع أَمْكَنُ وأَبْلَغُ من قراءة النصب، لأنَّ الرفع في بابِ المصادر التي أصلُها النيابةُ عن أفعالها يَدُلُّ على الثبوتِ والاستقرارِ بخلافِ النصب فإنه يَدُلُّ على الثبوتِ والاستقرارِ بخلافِ النصب فإنه يَدُلُّ على التجدُّدِ والحدوثِ، ولذلك قال العلماء: إن جوابَ خليل النصب فإنه يَدُلُّ على

(٤٨) البحر المحيط : ١ - ١٣١.

التجدُّدِ والحدوثِ، ولذلك قال العلماء: إن جوابَ خليل الرحمن عليه السلام في قوله تعالى حكايةً عنه: {قَالَ سَلاَمٌ} أحسنُ مِنْ قول الملائكة «قالوا سلاماً»، امتثالاً لقوله تعالى: {فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا} « (٤٩).

*** الشَّاهد الثَّاني : قوله تعالى : [قَالُوا سُبْحَانَكَ] {البقرة:٣٢}**

بيَّنَ الطَّبريُّ أصلَ التَّسبيحِ بقولهِ : « وأصلُ التسبيحِ للهِ عند العربِ: التنزيهُ له من إضافة ما ليس من صفاته إليه، والتبرئةُ له من ذلك، كما قال أعشى بني ثعلبة:

أَقُولُ –لمَّا جَاءَنِي فَخْرُه–: ... سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ (٥٠)

يريد: سُبحان الله من فَخر علقمة، أي تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار، على وجه النكير منه لذلك.» (٥١). ووجَّهَ هذه الآيةِ بقولهِ : « وسُبحان مصدر لا تصرُّف له. ومعناه: نسبِّحك، كأنهم قالوا: نسبحك تسبيحًا، وننزهك تنزيهًا، ونبرّئك من أن نعلم شيئًا غير ما علمتنا.» (٥٢). وذكر صاحبُ (المحرَّر الوجيز) ما نصُّه : « و» سبحانك « معناه تنزيها لك وتبرئة أن يعلم أحد من علمك إلا ما علمته و» سبحانك « نصب على المصدر .وقال الكسائي نصبه على أنه منادى مضاف «(٥٣)

وقالَ القُرطبيُّ : « « سُبحان « منصوبٌ على المصدرِ عند الخليلِ وسيبويه يؤدِّي عن معنى نُسبِّحُك تسبيحاً. وقال الكسائي نصبه على أنه منادى مضاف « (٥٤)

(٤٩) الدُّر المصون : للسَّمين الحلبي : ١ - ٢٢.
(٥٠) ديوانه : ١٠٦، من قصيدته المشهورة، التي قالها في هجاء علقمة بن علاثة، في خبر منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل (الأغاني ١٥ : ٥٠-٥٦). وذكر ابن الشجري في أماليه ١ : ٣٤٨ عن أبي الخطاب الأخفش، قال : «وإنما ترك التنوين في»سبحان» وترك صرفه، لأنه صار عندهم معرفة». وقال في ٢ : ٢٥٠ : «لم يصرفه، لأن فيه الألف والنون زائدين، وأنه علم للتسبيح، فإن نكرته صرفته».
(٥١) جامع البيان : ١ - ٤٧٤.
(٥٢) جامع البيان : ١ - ٤٩٥.
(٥٣) المحرَّر الوجيز : لابن عطيَّة الأندلسي : ١ - ١٠٦.
(٥٤) الجامع لأحكام القُرآن : ١ - ٢٨٧.

وفي تفسيره لكلمة (سبحانك) قالَ أبو حيَّان : « سبحانك : معناه تنزيهك، وسبحان اسمٌ وُضِعَ موضعَ المصدرِ، وهو مما ينتصبُ بإضمار فعلٍ من معناه لا يجوزُ إظهاره، وهو من الأسماءِ التي لزمت النَّصبَ على المصدريَّةِ، ويضافُ ويفردُ، فإذا أفرد كان منونًا، نحو قول الشاعر :

سبحانَه ثم سُبْحاناً نعوذُ به ** وقبلَنَا سبّح الجُودِيُّ والجُمُدُ

فقيل : صرفه ضرورة، وقيل : لجعله نكرة غير منون، نحو قول الشاعر :

أقولُ لَمَّا جاءني فَخْرُه ** سُبْحَانَ مِنْ علقَمَةَ الفاخِرِ

جعله علما فمنعه الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. وزعم بعض النَّحويين أنَّه إذا أُفرِدَ كان مقطوعًا عن الإضافةِ، فعاد إليه التَّنوينُ، ومَن لم ينوّنه جعله بمنزلة قبل وبعد، وقد ردَّ هذا القول في كتب النحو.»(٥٥)

وعند توجيهه لهذهِ الآيةِ قالَ : «(قالوا سبحانك لا علم لنا) : أي تنزيهك عن الادعاء وعن الاعتراض. وقيل : معناه تنزيه لك بعد تنزيه لفظه لفظ تثنية، والمعنى كذلك كما قالوا في لبيك، ومعناه : تلبية بعد تلبية. وهذا قول غريب يلزم عنه أن مفرده يكون سبحا، وأنه لا يكون منصوبا بل مرفوعا، وأنه لم تسقط النون للإضافة، وأنه التزم فتحها. والكاف في سبحانك مفعول به أضيف إليه. وأجاز بعضهم أن يكون فاعلا، لأن المعنى تنزهت. وقد ذكرنا، حين تكلمنا على المفردات، أنه منصوب على معنى المصدر بفعل من معناه واجب الحذف. وزعم الكسائي أنه منادي مضاف، ويبطله أنه لا يحفظ دخول حرف النداء عليه، ولو كان منادى لجاز دخول حول حرف النداء عليه، ونقل لنا.» (٥٦)

وعند توجيهه لهذه الآية قالَّ السَّمينُ الحلبيُّ : « قوله تعالى: {قَالُواْ سُبْحَانَكَ}.. «سُبْحان» اسمُ مصدرٍ وهو التسبيح، وقيل: بل هو مصدرٌ

(٥٥) البحر المحيط : ١ - ٢٨٦.
(٥٦) البحر المحيط : ١ - ٢٩٧.

لأنه سُمِعَ له فعلٌ ثلاثي، وهو من الأسماء اللازمةِ للإضافة وقد يُفْرَدُ، وإذا أُفْرِد مُنِعَ الصرفَ للتعريفِ وزيادةِ الألفِ والنونِ كقوله:

أقولُ لَمَّا جاءني فَخْرُه ** سُبْحَانَ مِنْ علقَمَةَ الفاخِرِ

وقد جاء منوَّناً كقوله:

سبحانَه ثم سُبْحاناً نعوذُ به ** وقبلَنَا سبّح الجُودِيُّ والجُمُدُ

فقيل: صُرِف ضرورةً، وقيل: هو بمنزلة قبلُ وبعدُ، إن نُودي تعريفُه بقي على حالِه، وإن نُكِّر أُعْرِبَ منصرفاً، وهذا البيتُ يساعِدُ على كونِهِ مصدراً [لا اسمَ مصدرٍ] لوروده منصرفاً. ولقائلِ القولِ الأولِ أن يُجيبَ عنه بأنّ هذا نظرةٌ لا معرفةٌ، وهو من الأسماءِ اللازمةِ النصبَ على المصدريةِ فلا يتصرّفُ، والناصبُ له فعلٌ مقدرٌ لا يجوزُ إظهارُه، وقد رُوي عن الكسائي أنه جَعَلَه منادى تقديرُه: يا سبحانَك، وأباه الجمهورُ من النحاةِ، وإضافتُه [هنا] إلى المفعولِ لأنَّ المعنى: تُسَبِّحُك نحنُ. وقيل: بل إضافتُه للفاعل، والمعنى: تنزَّهْتَ وتباعَدْتَ من السوء وسبحانَك، والعاملُ فيه في محلِّ نصبٍ بالقول.» (٥٧).

وعند صاحب (التَّحرير والتَّنوير) سبحان اسمٌ للتَّسبيحِ, إذ قالَ : « وسبحان اسم التسبيح... وهو اسم مصدر سَبَّحَ المضاعف وليس مصدراً لأنه لم يجيء على أبنية مصادر الرباعي, وقيل هو مصدر سَبَحَ مخففاً بمعنى نزه فيكون كالغفران والشكران، والكفران من غفر وشكر وكفر وقد كثر استعماله منصوباً على المفعولية المطلقة بإضمار فعله ك (معاذ الله) (يوسف : ٢٣) وقد يخرج عن ذلك نادراً قال : (سبحانك اللهم ذا السبحان) وكأنَّهم لمَّا خصَّصوه في الاستعمال بجعله كالعلم على التَّنزيه عدلوا عن قياس اشتقاقه فصار سبحان كالعلم الجنسي مثل برة وفجار بكسر الراء في قول النابغة :

(٥٧) الدُّر المصون : ١ - ١٩٧.

فحملتُ برّة واحتملتُ فجارِ

ومنعوه من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون قال سيبويه : وأما ترك تنوين (سبحان) فلأنه صار عندهم معرفة... « [٥٨]

وقالَ : « و(سبحان) اسم مصدر سَبَّح، وليس مصدراً، لأنَّه لم يسمع له فعل سالم. وجزم ابن جني بأنّه علَم على التسبيح، فهو من أعلام الأجناس، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة. « [٥٩]

وقالَ : « وجملة : (سبحانه وتعالى عمّا يصفون) مستأنفة تنزيهاً عن جميع ما حكي عنهم. ف (سبحان) مصدر منصوب على أنّه بدل من فعله. وأصلُ الكلام أسبّحُ اللهَ سبحاناً. فلمّا عُوّض عن فعله صار (سبحانَ الله) بإضافته إلى مفعوله الأصلي... «[٦٠]

وفي مناسبة حوار سيّدنا موسى عليهِ السَّلامُ مع ربّهِ عزَّ وجلَّ قالَ : « و(سبحانك) مصدرٌ جاء عوضاً عن فعله أي أسبحُك، وهو هنا إنشاء ثناء على الله وتنزيه عما لا يليق به، لمناسبة سؤاله منه مَا تبين له أنه لا يليق به سؤالهُ دون استيذانه وتحققِ إمكانه كما قال تعالى لنوح :

(فلا تسألني ما ليس لك به علم) في سورة هود (٤٦).» [٦١]

وعند توجيههِ لقولهِ تعالى [وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ] {البقرة:١١٦} قالَ : « وجملة :

(سبحانه) إنشاء تنزيه للرد عليهم، فالجملة جواب لذلك المقال ولذلك فصلت عن التي قبلها. وهو اسم مصدر ل (سَبَّح) إذا نزّه، نائب عن

(٥٨) التَّحرير والتَّنوير : للطَّاهر بن عاشور : ١ - ٤١٣, ٤١٤.
(٥٩) التَّحرير والتَّنوير : ٦ - ٥٨.
(٦٠) التَّحرير والتَّنوير : ٧ - ٤٠٩.
(٦١) التَّحرير والتَّنوير : ٩ - ٩٤.

الفعل، أي نسبحه.» (٦٢)

وعند توجيههِ لقولهِ تعالى [لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ] {النور:١٢} و(سبحانك) جملة إنشاء وقعت معترضة بين جملة : (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) وجملة : (هذا بهتان عظيم). و(سبحانك) مصدر وقع بدلاً من فعله، أي نسبح سبحاناً لك. وإضافته إلى ضمير الخطاب من إضافة المصدر إلى مفعوله، وهو هنا مستعار للتعجب كما تقدم عند قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً)

(الإسراء : ١) وقوله : (وسبحان الله وما أنا من المشركين) (في سورة يوسف ١٨٠). « (٦٣)

وقالَ العُكبريُّ : (٦٤) « قولهُ تعالى [قَالُوا سُبْحَانَكَ] {البقرة:٣٢} سبحان اسمٌ واقعٌ موقع المصدر, وقد اشتق منه سبحت والتَّسبيح, ولا يكادُ يُستعملُ إلاَّ مُضافاً, لأنَّ الإضافةَ تبين من المُعظَّم, فإذا أُفرِدَ عن الإضافةِ كانَ اسماً علماً للتَّسبيحِ لا ينصرفُ للتَّعريفِ, والألفُ والنُّونُ في آخرهِ مثل عثمان, وقد جاءَ في الشِّعرِ منوَّناً على نحو تنوين العلم إذا نُكِّرَ وما يُضافُ إليهِ مفعولٌ بهِ لأنَّهُ المُسبّحُ ؛ ويجوزُ أن يكونَ فاعلاً, لأنَّ المعنى تنزهت, وانتصابهُ على المصدرِ بفعلٍ محذوفٍ تقديرهُ : سَبَّحتُ اللهَ تسبيحاً... «

(٦٢) التَّحرير والتَّنوير : ١١ - ٢٣٠.
(٦٣) التَّحرير والتَّنوير : ١٨ - ١٨٠.
(٦٤) التبيان : ٢٩.

الفصل الثَّاني

إقامة المصدر مقام الحال

خصَّصَ أبو حيَّان الأندلسيُّ في كتابهِ (ارتشاف الضَّرب)[٦٥] فصلًا لهذا الموضوعِ, جاءَ فيهِ : « من مجيءِ المصدر موضعَ الحالِ على مذهبِ سيبويه [٦٦], وجمهورِ البصريين قوله تعالى : [ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] {البقرة:٢٦٠} و[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً] {البقرة:٢٧٤} و[وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا] {الأعراف:٥٦} و[ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا] {نوح:٨}. وقالتِ العربُ : قَتَلْتَهُ صَبْرَاً, وَلَقِيتُهُ فُجَاءَةً, وَمُفَاجَأَةً, وَكِفَاحاً وَمُكَافَحَةً وَعِيَاناً, وَكَلَّمْتُهُ مُشَافَهَةً, وَأَتَيْتُهُ رَكْضَاً وَمَشْيَاً وَعَدْوَاً, وَطَلَعَ بَغْتَةً, وَأَعْطَيْتُهُ المَالَ نَقْدَاً, وَأَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُ سَمَاعاً وَسَمْعَاً, وَوَرَدْتُ المَاءَ التقاطاً, ومع كثرةِ ما وردَ من ذلك فقيلَ : أَجمعَ الكوفيّونَ على أَنَّهُ لا يُستعملُ مِنْ هذهِ المصادرِ إلاَّ ما استعملتهُ العربُ, ولا يُقاسُ عليهِ كثيراً, فلا يجوزُ جَاءَ زَيْدٌ بكاءً, ولا ضَحِكَ زَيْدٌ بكاءً, وإن اختلفوا في التَّخريجِ, وشَذَّ المُبرِّدُ [٦٧] فقالَ : يجوزُ القياسُ فقيلَ عَنْهُ مُطلقاً, وقيلَ فيما هو نَوعٌ للفعلِ نحو : أَتيْتُهُ سُرْعَةً, وقالَ سيبويه [٦٨]: لا تَقُول : أَتيْتُهُ سُرْعَةً, ولا رُجْلَةً بلْ حيثُ سُمِعَ, وذهبَ الزَّجَّاجُ إلى مذهبِ سيبويه, فيما دلَّ عليهِ الفعلُ من بغتةٍ, لكنَّهُ يقيسُ وذلك نحو : أتانا إسراعاً أي مُسرعاً, وجرياً أي جارياً, ولا يكونُ اسمَ فعلٍ غيرَ مصدر نحو : أتانا رُجلةً وسُرعةً, وجعلَ السِّيرافيُّ هذا من بابِ جَلَسْتُ قُعُوداً فإذا قُلْتَ : زَيْدٌ يأتي عَدْوَاً فالمعنى : يأتي يعدو عَدْواً, وكذلك [يَأْتِينَكَ سَعْيًا] أي يَسْعَيْنَ إليك سَعْياً.

(٦٥) ارتشاف الضرَّب من لسان العرب : لأبي حيَّان الأندلسي المتوفَّ ٧٥٤هـ تحقيق ودراسة د. رجب عثمان محمَّد, ومراجعة د. رمضان عبد التَّوَّاب, النَّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة, الطَّبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م. ص ١٥٧٠ - ١٥٧٦.

(٦٦) الكتاب : ١ - ٣٧٠, والمُقتضب : ٣ - ٢٣٤, والمساعد : ٢ - ١٣, والتَّصريح : ١ - ٣٤٧, وشرح ابن عقيل : ١ - ٦٣٢.

(٦٧) انظر : المُقتضب : ٣ - ٢٣٤, شرح الكافية للرَّضي : ٢ - ٣٩ (ل) و٢ - ٢١٠ (ب), وشرح الكافية الشَّافية لابن مالك : ٢ - ٧٣٦, والأشموني : ٢ - ١٧٣, والهمع : ١ - ٢٣٨, والتَّصريح : ١ - ٣٧٤.

(٦٨) الكتاب : ١ - ٣٧٠.

ويُقدِّرُ سيبويه [٦٩] هذه المصادر منصوبةً بالفعلِ قبلها أحوالًا, أي دَعَوْتُهُم مُجاهراً, وقتلْتُهُ مصبوراً, وكذا باقيها.

وقالَ الكوفيّون, والأخفشُ [٧٠], والمُبرِّدُ [٧١], هي مفاعيلٌ مُطلقةٌ فقالَ الكوفيّون : منصوبة بالفعلِ الَّذي قبلها, وليْسَتْ في موضعِ الحالِ ؛ لأنَّ معنى قتله صَبَرَهُ ومعنى أعطاهُ نَقَدَهُ.

وقالَ الأخفشُ [٧٢], والمُبرِّدُ [٧٣] : قبلَ كُلِّ مصدرٍ فعلٌ مُقدَّرٌ ذلك الفعلُ هو الحالُ, أي زَيْدٌ طَلَعَ, يبْغَتُ بغتةً, وقتلتُه أصْبُرُهُ صَبْراً, وقيلَ : هي أحوالٌ على حذفِ مُضاف, أي ذا فَجْأةٍ, وذا صَبرٍ, وقيلَ هي مصادرٌ على حذفِ مُضاف أي لقاءَ فَجْأةٍ, وإتيانَ رَكْضٍ, وَسَيْرَ عَدْوٍ, وَيُقَدَّرُ مُضافاً محذوفاً من لفظِ الفعلِ, ويُقدَّرُ فيما جاءَ معرفةً مِمَّا تقدَّمَ ذكره إرسالَ العراك, وطَلَبَ جَهْدِك, وَرُجُوعَ عَوْدِهِ, وَمُرورَ إيحادي لَهُ, ومَجِيء الجمَّاء, ودخولَ الأوَّل فالأوَّل, وكلامَ فِيه إلى فِيَّ, فتنتصبُ هذه المعارفُ انتصابَ المصادر على تقدير ذلك الحذفِ على ما يُسَوِّغُ في المصادرِ من مجيئها معرفة ونكرة وقالَ ابنُ هشام, وهذا تقديرٌ سهلٌ. «

وهل يقعُ المصدرُ المؤَّولُ من (أن والفعل) حالاً ؟

يُجيبُ على هذا السُّؤالِ أبو حيَّان بقولهِ : [٧٤]» ومذهبُ سيبويه [٧٥] أنَّ (أن والفعل) وإنْ قُدِّرَ مصدراً لا يجوزُ أن يقعَ حالاً, وذهبَ ابنُ جنِّي إلى أنَّهُ يجوزُ أن يقعَ (أن والفعل) حالاً, كما يقعُ صريحُ المصدرِ قالَ ذلك في قولِ الشَّاعر :

(٦٩) الكتاب : ١ - ٣٧٠.
(٧٠) رأي الأخفش في : شفاء العليل ٢ - ٥٣٤, والتَّسهيل ١٠٨, وشرح التَّسهيل لابن مالك ٢ - ٣٢٨, والهمع ١ - ٢٣٨, والمساعد ٢ - ١٤.
(٧١) يفهم ذلك من عبارة المُبِّرد وهي قوله : وكذلك جئتُه مشياً ؛ لأنَّ المعنى جئتُه ماشياً, فالتَّقديرُ :, أمشي ماشياً, لأنَّ المجيءَ على حالات. انظر : المقتضب ٤ - ٢٣٤, وانظر أيضاً : الأشموني ٢ - ١٧٣, وشفاء العليل ١ - ٥٢٤.
(٧٢) انظر رأي الأخفش في شرح الكافية للرَّضي ٢ - ٢٩, (ل), ١ - ٢١٠ (ب) والأشموني ٢ - ١٧٣, وشفاء العليل ٢ - ٥٢٤.
(٧٣) المقتضب : ٣ - ٢٣٤.
(٧٤) ارتشاف الضرَّب : ١٥٧١.
(٧٥) الكتاب : ١ - ٣٩٠.

وَقَالوا لَهَا لا تَنْكِحِيه فَإِنَّهُ ** لأوَّلِ نَصْلٍ أنْ يُلاقَي مَجْمَعَا (٧٦).

ويرى الأستاذُ عبَّاس حسن أنَّ المصدرَ الصَّريح المُنكَّر وردَ بكثرة في الكلامِ الفصيحِ, وأنَّ القياسَ عليهِ مُباحاً, إذ قالَ (٧٧) : « وقد وردَ – بكثرةٍ – في الكلامِ الفصيحِ وقوعُ المصدر المُنكَّرِ حالاً ؛ ولكثرتِهِ كانَ القياسُ عليهِ مُباحاً في رأي بعضِ المُحقِّقين, وهو رأيٌ – فوق صحتِهِ – فيهِ تيسيرٌ, وتوسعةٌ, وشمولٌ لأنواعٍ من المصادرِ أجازها فريقٌ, ومنعها فريقٌ.

ولا معنى لتأويلِ المصادرِ الكثيرةِ المسموعةِ تأويلاً يُبعدُها عن المصدرِ, كما فعلَ بعضُ النُّحاةِ من ابتكارِ عدَّةَ أنواعٍ من التَّأويلِ بغيرِ داعٍ.إذ لم يراعوا للكثرةِ حقَّها الَّذي يبيحُ القياس. « وقالَ (٧٨) :» غريبٌ – كما يقولُ بعضُ النُّحاةِ – أن يكثرَ ورودُ الحالِ مصدراً مُنكراً, في فصيحِ الكلامِ المأثورِ, بل في أفصحِهِ ؛ وهو : القُرآنُ, ثُمَّ نسمعُ ونقرأُ مَن يقول : إنَّهُ بالرَّغمِ من تلك الكثرةِ مقصورٌ على السَّماعِ (٧٩)... فمما جاءَ في القُرآنِ قولُه تعالى : [اذْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] {البقرة:٢٦٠} وقولُه : [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً] {البقرة:٢٧٤} وقولُه : [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا] {السجدة:١٦} وقولُه : [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا] {النساء:١٠} فالكلماتُ : سعياً – سرَّاً – جهاراً – خوفاً – ظُلماً – -- هي مصادرٌ لاشكَّ فيها, وهي أيضاً بعضُ ما جاءَ في الكتابِ العزيزِ من الأحوالِ, وما أكثر ما جاءَ في غيرهِ مما يُستشهدُ بهِ. وتأويلها بالمفعولِ المُطلقِ الَّذي حُذِفَ عاملُه ضعيفٌ ؛ لأنَّ حذفَ عامل المؤكّد في مثلِ هذا معيبٌ... وكذا كُلُّ تأويلٍ آخرٍ يُشبهه. فما الَّذي يُقاسُ عليهِ إن لم تكن هذه الشَّواهدُ كُلُّها داعيةً للقياسِ عليها ؟ ولماذا يوافقُ بعضُهم على القياسِ في المصدرِ المُنكرِ الصَّريحِ إذا كانَ نوعاً لعاملهِ ؛ نحو : جاءَ السَّائقُ سُرعةً, أي : سريعاً ؟ ولماذا يقصره كثيرٌ منهم على أنواعٍ ثلاثةٍ

(٧٦) البيت لتأبَّطَ شَراً في الدرر اللوامع ١ - ٢٠٠, وشرح الحماسة للمرزوقي ٢ - ٤٩١, والبحر المحيط ٥ - ٣٢٥, وبلا نسبة في الهمع ١ - ٢٣٩, وشرح التَّسهيل لابن مالك ١ - ٢٢٦.
(٧٧) النَّحو الوافي : ٢ - ٣٧٢, ٣٧٣.
(٧٨) النَّحو الوافي : ٣ - ٣٧٢. الهامش رقم (٣).
(٧٩) راجع آخر صفحة من الحاشية على شرح « التَّصريح « باب « الإدغام «.

من المصدرِ الصَّريحِ للنَّكرةِ ؟ **هي** :

(أ) المصدرُ الدَّالُّ على بلوغِ نهايةِ الشَّيءِ ؛ نحو : أنتَ الرَّجلُ شجاعةً, وأخوك الرَّجلُ علماً. وأمثالُ هذا المصدرِ الَّذي قبله خبر مقرون « بأل « الدَّالَّةِ على الوصولِ إلى نهايةِ الشَّيءِ ؛ حُسناً وقُبحاً.

(ب) والمصدرُ الَّذي قبلُه مُبتدأ وخبر, والمُبتدأ مُشبَّه بالخبرِ, أنتَ عُمرُ عدلاً – وهي الخنساءُ شِعراً.

(ج) والمصدرُ الواقعُ بعد « أمَّا « في نحو : أمَّا بلاغةً فبليغ, وكلُّ مصدرٍ وقعَ بعد « أمَّا « في مقام قصد فيه الرَّدُ على مَن وصف شخصاً بوصفين, أو سلبه أحدهما, وأنت تعتقدُ اتِّصافَه بواحدٍ منهما والحقُّ لا داعي لشيءٍ من التَّقييدِ والحصرِ في هذا كُلِّهِ. فالقياسُ مُباحٌ على كُلِّ ما سلف وبالقياسِ أخذَ مؤتمرُ المجمع اللُّغوي الَّذي انعقدَ بالقاهرةِ خلال شهر فبراير سنة ١٩٧١م وسجَّله بينَ قراراتهِ النِّهائيَّةِ الَّتي أصدرها بعد تمحّصٍ وطولِ بحثٍ «.

يقولُ ابنُ مالك :

وَمَصْدَرٌ مُنكَّرٌ حالاً يقعْ ** بكَثْرَةٍ كَبَغْتَةً زَيْدٌ طَلَعْ

*** شواهد المبحث :**

– قوله تعالى : [وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] {البقرة:٥٥} (٨٠)

تركَّزت أقوالُ النُّحاةِ والمُفسّرين حول قوله تعالى (جَهْرَةً) ونصُّوا على أنَّها مصدرٌ في موضعِ الحالِ, ومن هذه الأقوال : ما ذكره ابنُ الأنباري

(٨٠) انظر آراء النُّحاة والمفسِّرين حول هذه الآية في المصادر الآتية : البيان لابن الأنباري : ١ - ٨٣, التِّبيان للعُكبري : ٣٧, والكشَّاف : ١ - ١٦٩, والمحرَّر الوجيز : ٢ - ١٥١, ومفاتيح الغيب : ١ - ٤٤٢, والجامع لأحكام القُرآن : ١ - ٤٠٤, والبحر المحيط : ١ - ٣٧١, ٣ - ٤٠٢, والدُّر المصون : ١ - ٢٧٤, ١ - ١٨٧٤, والتَّحرير والتَّنوير : ١ - ٥٠٧.

في (بيانه) إذ قالَ : « « جَهْرَةً « منصوبٌ على المصدرِ في موضعِ الحالِ من المُضمرِ في « قُلْتُمْ « وتقديرُه, قُلتُم ذلك مُجاهرينَ. وقيلَ : صفة لمصدرٍ محذوفٍ وتقديرُه, أرنا اللهَ رُؤيةً جهرةً. والوجهُ الأوَّلُ أوجهُ الوجهين « [٨١]. وقد فصَّل صاحبُ (الدُّر المصون) القولَ في هذه الآية إذ قالَ :

قولُه تعالى: «جَهْرَةً» فيه قولان: أحدُهما: أنها مصدرٌ وفيها حينئذٍ قولان، أحدُهما أنَّ ناصبَها محذوفٌ، وهو من لفظِها، تقديرُه: جَهَرْتُمْ جَهْرَةً نقله أبو البقاء، والثاني: أنها مصدرٌ من نوعِ الفعلِ فَتَنْصِبُ انتصابَ القُرْفُصاء من قولك: «قَعَدَ القُرْفُصاء»، «واشتمل الصَمَّاء»، فإنها نوعٌ من الرؤيةِ، وبه بدأ الزَّمخشري. والثاني: أنها مصدرٌ واقعٌ موقعَ الحالِ، وفيها حينئذ أربعةُ أقوالٍ، أحدُهما: أنه حالٌ من فاعل «نرى» أي: ذوي جَهْرَةٍ، قاله الزَّمخشري. والثاني: أنَّها حالٌ من فاعل «قُلْتم»، أي: قلتم ذلك مجاهِرين، قاله أبو البقاء، وقال بعضُهم: فيكونُ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، بل أتى بمفعولِ القولِ ثم بالحالِ من فاعِلِه، فهو نظيرُ: «ضَرَبْتُ هنداً قائماً». والثالثُ: أنَّها حَالٌ من اسمِ اللهِ تعالى، أي: نَرَاه ظاهراً غيرَ مستورٍ. والرابعُ: أنَّها حالٌ من فاعلِ «نؤمن» نقله ابنُ عطية، ولا معنى له، والصحيحُ من هذه الأقوالِ الستة الثاني.

وقرأ ابنُ عباس «جَهَرَةً» بفتح الهاء وفيها قولان، أحدُهما: أنها لغةٌ في جَهْرة، قال ابن عطية: «وهي لغةٌ مسموعةٌ عند البصريين فيما فيه حَرْفُ الحلقِ ساكنٌ قد انفتح ما قبله، والكوفيون يُجيزون فيه الفتحَ وإنْ لَمْ يَسْمَعُوه»، وقد تقدَّم تحريرُ القولِ في ذلِك. والثاني: أنها جمعُ «جاهر»، نحو: خادِم وخَدَم والمعنى: حتى نرى الله كاشفين هذا الأمر، وهي تُؤَيِّدُ كونَ «جهرةً» حالاً من فاعل «نَرى».

والجَهْرُ: ضدُّ السِّرِّ وهو الكَشْفُ والظهورُ، ومنه جَهَرَ بالقراءةِ أي: أظهرَها: قال الزَّمخشري: «كأنَّ الذي يَرى بالعين جاهرٌ بالرؤيةِ، والذي يَرَى بالقلبِ

(٨١) البيان في غريب إعراب القرآن : ١ - ٨٣, لأبي البركات بن الأنباري, تحقيق د. طه عبد الحميد طه, مراجعة مصطفى السَّقَّا, الهيئة العامَّة للكتاب ٢٠٠٦م.

مُخافِتٌ بها».» [٨٢]

وعند تفسيره لقولهِ تعالى : [يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً] {النساء:١٥٣} قالَ : « وقوله: {فَقَالُواْ أَرِنَا} هذه الجملةُ مفسرةٌ لكبر السؤال وعظمته. و{جَهْرَةً} تقدَّم الكلام عليها، إلا أنه هنا يجوز أن يكون «جهرةً» من صفةِ القول أو السؤالِ أو مِنْ صفة السائلين أي: فقالوا مجاهرين أو: سألوا مجاهرين، فيكونُ في محلِّ نصبٍ على الحال أو على المصدر.» [٨٣]

ولصاحب (التَّحرير والتَّنوير) كلامٌ مُهمٌّ في هذه الآية, إذ قالَ : « والجهرةُ مصدرٌ بوزن فَعلة من الجهرِ وهو الظهورُ الواضحُ فيستعملُ في ظهورِ الذَّوات والأصواتِ حقيقة على قول الرَّاغب إذ قال : (الجهرُ ظهورُ الشَّيء بإفراطٍ إمَّا بحاسةِ البصرِ نحو رأيتُه جهاراً ومنه جهر البئر إذا أظهر ماءها، وإمَّا بحاسةِ السَّمع نحو : [وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ] {طه:٧} وكلامُ (الكشَّاف) مؤذن بأنَّ الجهرَ مجازٌ في الرؤيةِ بتشبيه الَّذي يرى بالعين بالجاهر بالصَّوتِ والَّذي يرى بالقلب بالمخافت، وكان الَّذي حداه على ذلك اشتهارُ استعمال الجهر في الصَّوتِ وفي هذا كلِّه بعد إذ لا دليل على أنَّ جهرةَ الصَّوتِ هي الحقيقةُ ولا سبيل إلى دعوى الاشتهارِ في جهرةِ الصَّوت حتَّى يقول قائلٌ إنَّ الاشتهارَ من علاماتِ الحقيقةِ على أنَّ الاشتهارَ إنَّما يعرفُ به المجاز القليل الاستعمال، وأمَّا الأشهريَّةُ فليست من علامات الحقيقةِ، ولأنَّه لا نكتة في هذه الاستعارة ولا غرض يرجع إلى المشبه من هذا التَّشبيهِ فإنَّ ظهورَ الذَّوات أوضحُ من ظهورِ الأصواتِ.

وانتصب (جهرة) على المفعول المطلق لبيان نوع فعل ترى لأن من الرؤية ما يكون لمحة أو مع سائر شفاف فلا تكون واضحة. ووجهُ العدولِ عن أن يقول عياناً إلى قوله (جهرة) لأنَّ جهرةً أفصحُ لفظاً لخفته، فإنَّه غيرُ مبدوءٍ بحرفِ حلقٍ والابتداءُ بحرفِ الحلقِ أتعبُ للحلقِ من وقوعهِ في

(٨٢) الدُّر المصون : ١ - ٢٧٤.
(٨٣) الدُّر المصون : ١ - ١٨٧٤.

وسطِ الكلامِ ولسلامته من حرف العلَّةِ وكذلك يجتبي البلغاءُ بعضَ الألفاظِ على بعضٍ لحسنِ وقعها في الكلام وخفتها على السَّمع وللقرآن السَّهمُ المعلى في ذلك وهو في غايةِ الفصاحةِ.»(٨٤)

*** الشَّاهد الثَّاني :**

قوله تعالى : [قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] {البقرة:٢٦٠} (٨٥).

تركَّزت أقوالُ النُّحاةِ والمُفسِّرين حول قوله تعالى (يَأْتِينَكَ سَعْيًا) ونصُّوا على أنَّها مصدرٌ في موضعِ الحالِ, ومن هذه الأقوال : ما ذكره ابنُ الأنباري في إذ قالَ : « قوله تعالى : « يَأْتِينَكَ سَعْيًا» سعياً, منصوبٌ لأنَّهُ مصدرٌ في موضعِ الحالِ, أي يأتينك ساعياتٍ, كقولهم : جاءَ زيدٌ ركضاً أي راكضاً « (٨٦).

وعند إعرابه لهذه الآيةِ قالَ العُكبريُّ : « و(سعياً) مصدرٌ في موضعِ الحالِ : أي ساعيات ؛ ويجوزُ أن يكونَ مصدراً مؤكَّداً,لأنَّ السَّعيَ والإتيانَ مُتقاربانِ,فكأنَّهُ قالَ: يأتينكَ إتياناً « (٨٧).

وعند تفسيره لهذه الآية وجَّهها نحويَّاً على النَّحو التَّالي : « [ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] أمره بدعائهن أموات، ليكون أعظم له في الآية، ولتكون حياتها متسببة عن دعائه، ولذلك رتب على دعائه إيَّاهن إتياهن إليه، والسَّعي هو الإسراع في الشيء.

وقال الخليلُ : لا يقال سعى الطائر، يعنى على سبيل المجاز، فيقال : وترشيحه هنا هو أنه لما دعاهن فأتينه تنزلن منزلة العاقل الذي يوصف

(٨٤) التَّحرير والتَّنوير : ١ - ٥٠٧.
(٨٥) انظر آراء النُّحاة والمُفسِّرين حول هذه الآية في المصادر الآتية : البيان : ١ - ١٧٣, التِّبيان : ١١١, الكشَّاف : ١ - ٣٣٧, مفاتيح الغيب : ١ - ١٠١٠, الجامع : ٣ - ٣١٠, والبحر المحيط : ٢ - ٣١١, والدُّر المصون : ١ - ٩٦٨.
(٨٦) البيان : ١ - ١٧٣.
(٨٧) التِّبيان : ١١١.

بالسعي، وكان إتيانهن مسرعات في المشي أبلغ في الآية، إذ اتيانهن إليه من الجبال يمشين مسرعات هو على خلاف المعهود لهن من الطيران، وليظهر بذلك عظم الآية، إذ أخبره أنهن يأتين على خلاف عادتهن من الطيران، فكان كذلك. وجعل سيرهن إليه سعيا، إذ هو مشية المجد الراغب فيما يمشي إليه، لإظهار جدها في قصد إبراهيم، وإجابة دعوته.

وانتصاب : سعيا، على أنه مصدر في موضع الحال من ضمير الطيور، أي : ساعيات، وروي عن الخليل : أن المعنى يأتينك وأنت تسعى سعيا. فعلى هذا يكون مصدر الفعل محذوف، هو في موضع الحال من الكاف، وكان المعنى : يأتينك وأنت ساع إليهن، أي يكون منهن إتيان إليك، ومنك سعي إليهن، فتلتقي بهنَّ. والوجه الأول أظهر، وقيل : انتصب : سعيا، على أنه مصدر مؤكد لأن السعي والإتيان متقاربان. «[٨٨]

وعند توجيهه لهذه الآية ذكر صاحبُ (الدُّر المصون) ما يلي : «قوله: {يَأْتِينَكَ} جوابُ الأمر، فهو في محلِّ جزمٍ، ولكنه بُني لاتِصاله بنونِ الإناثِ. قوله: «سَعْياً» فيه أوجهٌ، أحدُها: أنه مصدرٌ واقعٌ موقعَ الحالِ من ضميرِ الطير، أي: يأتينك ساعياتٍ، أو ذواتِ سَعْي. والثاني: أن يكونَ حالاً من المخاطبِ، ونُقِل عن الخليلِ ما يُقَوِّي هذا، فإنه رُوِي عنه: «أن المعنى: يأتينك وأنت تسعى سعياً» فعلى هذا يكونُ «سعياً» منصوباً على المصدرِ، وذلك الناصبُ لهذا المصدرِ في محلِ نصبٍ على الحالِ من الكافِ في «يأتينك». قلت: والذي حَمَلَ الخليلَ - رحمه الله - على هذا التقديرِ انه لا يقال عنده: «سَعَى الطائرُ» فلذلك جَعَل السَّعَيَ من صفاتِ الخليلِ عليه السلام لا من صفةِ الطيورِ. والثالث: أن يكونَ «سَعْياً» منصوباً على نوعِ المصدرِ، لأنه نوعٌ من الإتيان، غذ هو إتيانٌ بسرعةٍ، فكأنه قيل: يأتينك إتياناً سريعاً. وقال أبو البقاء: «ويجوزُ أن يكونَ مصدراً مؤكِّداً، لأنَّ السعي والإتيان يتقاربان»، وهذا فيه نظرٌ؛ لأن المصدرَ المؤكِّد لا يزيدُ معناه على معنى عامِله، إلاَّ أنه تَساهل في العبارةِ. « [٨٩]

(٨٨) البحر المحيط : ٢ - ٣١١.
(٨٩) الدُّر المصون : ١ - ٩٦٨.

الفصل الثَّالث

إقامة المصدر مقام المفعول به

في كتابه (الصَّرف التَّعليمي والتَّطبيق في القُرآن الكريم)(٩٠) طرح الدُّكتور محمود سُليمان ياقوت السُّؤال الآتي : هل يأتي المصدرُ بمعنى اسم المفعول ؟

وأجاب عنه بقوله : نعم وهذا الاستعمالُ نجدُه في الأسلوبِ القُرآني العظيم. قالَ اللهُ – تعالى – [وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] {يوسف:١٨} معناه : بدمٍ مكذوب . وقد ربطَ أبو زكريا يحي بن زياد الفرَّاء – المُتوفَّى ٢٠٧ هـ – هذا الاستعمالَ للمصدرِ والمقصود اسم المفعول بـ « كلامِ العربِ «. حيثُ قالَ : « والعربُ تقولُ للكَذِبِ : مكذوب, وللضِّعفِ : مضعوف, ولَيْسَ لَهُ عَقْد رأي ومَعقود رأي, فيجعلون المصدرَ في كثيرٍ من الكلامِ مفعولاً « (٩١)

وقالَ تعالى : [ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ] {الحاقَّة:٣٢} (ذَرْعُهَا) مصدرٌ بمعنى المفعول, أي مذروعها, أي طولها. وقالَ تعالى : [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ] {البقرة:٦٧}

التَّقديرُ : « أَتَتَّخِذُنَا مَهْزُوءاً «, فالمصدرُ بمعنى المفعولِ « مَهْزُوءاً «. وقالَ تعالى : [وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا] {الجنّ:٥} التَّقديرُ : « قولاً كذباً « ؛ أي « مكذوباً فيهِ «. وقالَ تعالى : [هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] {لقمان:١١} ؛ أي « مخلوق الله «. ومن الكلماتِ المتداولةِ في الكُتبِ العربيَّةِ المهتمَّةِ بالدِّراساتِ اللُّغويَّةِ « اللفظ «, وقد قالَ ابنُ مالك في ألفيته :

(٩٠) الصرَّف التَّعليمي والتَّطبيق في القُرآن الكريم, للدكتور محمود سُليمان ياقوت, ص ١٢٥.
(٩١) معاني القُرآن : ٢ - ٣٨.

كَلامُنا لَفْظٌ مُفيْدٌ كَاسْتَقَمْ ** وَاسمٌ وَفِعلٌ ثُمَّ حرفٌ الكَلِمْ

وحين تحدَّثَ اللُّغويون عن صيغتهِ قالوا إنَّ « اللَّفظَ « مصدرُ : لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظَاً, أي « نطقَ «, وهو مصدرٌ المُرادُ بهِ اسمَ المفعولِ : اللَّفظُ : الملفوظُ. وكذلك « القولُ « مصدرُ : قَالَ يَقولُ قَوْلاً, وهو بمعنى اسم المفعول : القولُ : المَقولُ.»

*** شواهد المبحث :**

قوله تعالى : [وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] {يوسف:١٨} (٩٢)

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسّرين في هذه الآية حول كلمة (كَذِبٍ),وجاءت أقوالهم على النَّحوِ التَّالي : إذ قالَ الفرَّاءُ : (٩٣) « وقولُه [وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] {يوسف:١٨} معناهُ : مكذوبٌ : والعربُ تقولُ للكذبِ. مكذوبٌ وللضعف : مضعوف, وليسَ لَهُ عَقْد رأي ومعقودُ رأيٍ ؛ فيجعلون المصدرَ في كثيرٍ من الكلامِ مفعولاً. ويقولون : هذا أمرٌ ليسَ لهُ معْنىً يريدون مَعْنىً, ويقولون للجَلَد : مجلود ؛ قالَ الشَّاعرُ : إنَّ أخا الجلودِ مَن صبرا (٩٤).

وقالَ الآخرُ :

حتَّى إذا لم يتركوا لعظامهِ ** لحماً ولا لفؤادهِ معقولاً

وقالَ أبو ثرْوان : إنَّ بني نُمير ليسَ لحدِّهم (٩٥)مكذوبة, ومعنى قوله [بِدَمٍ كَذِبٍ] أنَّهم قالوا ليعقوبَ : أكلهُ الذِّئبُ. وقد غمسوا قميصَهُ في دمِ جَدْي. فقال : لقد كانَ هذا الذِّئبُ رفيقاً بابنِّي, مزَّقَ جلدَهُ ولم يُمزِّقْ ثيابَهُ. قالَ

(٩٢) انظر آراء النُّحاةِ والمفسِّرين في المصادر الآتية : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ - ٣٨, وجامع البيان : ١٥ - ٥٨٢, ٥٨٣, والكشَّاف : ٢ - ٢ - ٤٢٥, المحرَّر الوجيز : ٣ - ٢٣٩, ومفاتيح الغيب : ١ - ٢٤٩٨, والجامع : ٩ - ١٤٩, والتَّحرير والتَّنوير : ١٢ - ٢٣٨.
(٩٣) معاني القرآن : ٢ - ٣٨.
(٩٤) الشطر في اللسان (جلد) : واصبر فإنَّ أخا الجلود من صبرا.
(٩٥) لجدِّهم.

:وقالوا : اللصوصُ قتلوه, قالَ : فلِمَ تركوا قميصَهُ ! وإنَّما يُريدون الثِّيابَ. فلذلك قيلَ (بِدَمٍ كَذِبٍ) ويجوزُ في العربيَّةِ أن تقولَ : جاءوا على قميصهِ بدمٍ كَذِبَاً ؛ كما تقول : جَاءوا بأمرٍ باطلٍ وباطلاً, وحق وحقَّاً. « وعند تفسيره لهذه الآية ذكر الطَّبريُّ ما يلي : « فإن قال قائل: كيف قيل:(بِدَمٍ كَذِبٍ) وقد علمت أنه كان دمًا لا شك فيه، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟

قيل: في ذلك من القول وجهان:

أحدهما: أن يكون قيل(بِدَمٍ كَذِبٍ) لأنه كُذِب فيه كما يقال»: الليلة الهلالُ»، وكما قيل: [فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ] {البقرة:١٦} وذلك قولٌ كان بعض نحويي البصرة يقوله.

والوجه الآخر: وهو أن يقال: هو مصدر بمعنى»مفعول». وتأويله: وجاءُوا على قميصه بدم مكذوب كما يقال:»ما له عقل ولا معقول»، و»لا له جَلَد ولا له مجْلود». والعرب تفعل ذلك كثيرًا، تضع»مفعولا» في موضع المصدر، والمصدر في موضع مفعول، كما قال الراعي:

حَتَّى إذَا لم يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ** لَحْمًا وَلا لِفؤادِهِ مَعْقول [٩٦]

وذلك كان يقوله بعض نحويي الكوفة.[٩٧] « [٩٨]

وقد علَّق صاحبُ (المحرَّر الوجيز) على ما ذكره الطَّبريُّ, إذ قالَ : «

(٩٦) جمهرة أشعار العرب : ١٧٥، وغيرها، من ملحمته المشهورة، قالها لعبد الملك بن مروان، وكان بعض عماله على الصدقات، قد أوقع ببني نمير قوم الراعي، لأن قيسًا كانت زبيرية الهوى، فقال :
أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَـــــنِ إنَّا مَعْشَرٌ ** حُنَفَاءُ نَسْجُـــــدُ بُكْرَةً وأصِيلاَ
عَرَبٌ، نَــرَى لله فِي أمْــوالنا ** حَقَّ الزَّكـــــــاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاَ
إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أمْرَتَهُمْ ** وأتَوْا دَواهِيَ، لو عَلِمْتَ، وغُولا
ثم يقول له :
أخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ** بِالأصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُـــــولاً
حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا.....
جَاءوا بِصَكِّهِمُ، وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ ** مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إجْفِيـلا
وهي من جيد الشعر.
(٩٧) هو الفرَّاء : في معاني القرآن : ٢ - ٣٨.
(٩٨) جامع البيان : ١٥ - ٥٨٢, ٥٨٣.

ووصف الدم بـ « كذب « إمَّا على معنى بدم ذي كذب وإمَّا أن يكون بمعنى مكذوب عليه كما قد جاء المعقول بدل العقل في قول الشَّاعر :

حَتَّى إذَا لم يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ** لَحْمًا وَلا لِفؤادِهِ مَعْقول

« الكامل « فكذلك يجيء التكذيب مكان المكذوب.

قال القاضي أبو محمد هذا كلام الطبري ولا شاهد له فيه عندي لأن نفي المعقول يقتضي نفي العقل ولا يحتاج إلى بدل وإنما الدم الكذب عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة.» (٩٩)

وعند تناوله لهذه الآية ذكر الفخرُ الرّازي فيها عدَّة مسائل جاءت على النَّحو التَّالي :

المسألة الأولى : إنَّما جاءُوا بهذا القميص الملطخ بالدَّم ليوهم كونهم صادقين في مقالتهم. قيل : ذبحوا جدياً ولطخوا ذلك القميص بدمه. قال القاضي : ولعلَّ غرضهم في نزع قميصه عند إلقائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيداً لصدقهم، لأنَّه يبعدُ أن يفعلوا ذلك طمعاً في نفس القميص ولا بدَّ في المعصية من أن يقرن بهذا الخذلان، فلو خرقوه مع لطخه بالدَّم لكان الإيهام أقوى، فلما شاهد يعقوب القميص صحيحاً علم كذبهم.

المسألة الثانية : قوله : { وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ } أي وَجَاءُوا فوق قميصه بدم كما يقال : جَاءُوا على جمالهم بأحمال.

المسألة الثالثة : قال أصحاب العربية وهم الفراء والمبرد والزجاج وابن الأنباري { بِدَمٍ كَذِبٍ } أي مكذوب فيه، إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ولكنه جعل نفسه كذباً للمبالغة قالوا : والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال : ماء سكب، أي

(٩٩) المحرَّر الوجيز : ٣ - ٢٩٣.

مسكوب ودرهم ضرب الأمير وثوب نسج اليمن، والفاعل كقوله : [إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ] {الملك:٣٠} ورجل عدل وصوم، ونساء نوح ولما سميا بالمصدر سمي المصدر أيضاً بهما فقالوا : للعقل المعقول، وللجلد المجلود، ومنه قوله تعالى [بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ] {القلم:٦ وقوله : {إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} (سبأ : ٧)... «(١٠٠)

*** الشَّاهد الثَّاني :**

قوله تعالى : [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا] {البقرة:٦٧} (١٠١).

الشَّاهد في هذه الآيةِ قوله تعالى (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا), وقد جاءت أقوالهم حوله على النَّحو التَّالي : إذ بيَّنَ الطَّبريُّ معنى الهزؤ بقوله : « و»الهزؤ»: اللعب والسُّخرية كما قال الرَّاجز: (١٠٢)

قد هزئت مني أم طيسله ** قالت أراه معدما لا شيء له (١٠٣)

يعني بقوله: قد هزئت: قد سخرت ولعبت.ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله –فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي– هزؤ أو لعب. فظنوا بموسى أنه في أمره إياهم –عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل إليه – أنه هازئ لاعب. ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله، وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة.» (١٠٤)

(١٠٠) مفاتيح الغيب : ١ - ٢٤٨٩.
(١٠١) انظر آراء النُّحاة والمفسِّرين حولَ هذه الآية في المصادر الآتية, جامع البيان : ٢ - ١٨٢, الكشَّاف : ١ - ١٧٦, المحرَّر الوجيز : ١ - ١٤١, مفاتيح الغيب : ١ - ٤٥٥, الجامع : ١ - ٤٤٧, والبحر المحيط : ١ - ٤١٥, والدُّر المصون : ١ - ٣١٤, والتَّحرير والتَّنوير : ١ - ٥٤٧.
(١٠٢) هو صخير بن عمير التَّميمي, ويُقالُ إنَّ القصيدةَ للأصمعي نفسه.
(١٠٣) (٢) الأصمعيات : ٥٨، وأمالي القالي ٢ : ٢٨٤، وانظر تحقيق ما قيل فيها في تعليق سمط اللآلي للراجكوتي : ٩٣٠ وروايتهم جميعا : تهزأ مني أخت آل طيسله..... ويروى»مملقا لا شيء له» و»مبلطا»، وكلها بمعنى واحد : فقيرا لا شيء له.
(١٠٤) جامع البيان : ٢ - ١٨٢.

ووضَّح ابنُ الأنباري الآية بقولهِ : « (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أي, ذوي هُزْءٍ, فحذَفَ المُضافَ وأقامَ المُضافَ إليهِ مقامَهُ, ويجوزُ أن يكونَ التَّقديرُ, أتتَّخذُنا مهزوءاً بِهم, فإنَّ المصدرَ بمعنى المفعولِ. قالَ اللهُ تعالى [هَذَا خَلْقُ اللهِ] {لقمان:١١} أي, مخلوق اللهِ... « (١٠٥)

وقد ذكرَ الفخرُ الرَّازي عدَّة مسائل في هذه الآية جاءت على النَّحو التَّالي :

المسألة الأولى : قرىء : {هُزُوًا } بالضم وهزؤا بسكون الزاي نحو كفؤاً وكفء وقرأ حفص : (هزواً) بالضمتين والواو وكذلك كفواً.

المسألة الثانية : قال القفال قوله تعالى : {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا} استفهام على معنى الإنكار والهزء يجوز أن يكون في معنى المهزوء به كما يقال : كان هذا في علم الله أي في معلومه والله رجاؤنا أي مرجونا ونظيره قوله تعالى : {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} (المؤمنون : ١١٠) قال صاحب «الكشاف» : (أتتخذنا هزؤاً) أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو مهزوأ بنا والهزء نفسه فرط الاستهزاء.... « (١٠٦)

(١٠٥) البيان : ١ - ٩١.
(١٠٦) مفاتيح الغيب : ١ - ٤٥٦.

الفصل الرَّابع

إقامة المصدر اسم الفاعل

ويأتي المصدرُ والمُرادُ بهِ اسم الفاعلِ, وذلك نحو : هذا رجلٌ عَدْلٌ, فـ « عَدْل « صفةٌ وهي بمعنى اسم الفاعل « عادل «. والشَّواهدُ على هذا كثيرة منها :

* شواهد المبحث :

* الشَّاهد الأوَّل : قوله تعالى : [لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ] {البقرة:١٧٧} (١٠٧)

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرين حول القراءات القرآنيَّة في كلمة (البِرَّ), إذ قال أبو عبيدة (١٠٨): «فالعربُ تجعلُ المصادرَ صفاتٍ, فمجازُ البرِّ ها هُنا : مجاز صفة لـ « مَنْ آَمَنَ بِاللهِ «, وفي الكلامِ: ولكنَّ البارَّ مَن آمن باللهِ, قالَ النَّابغةُ :

وَقَدْ خِفْتُ حتَّى ما تَزيدُ مخافتي ** على وَعِلٍ في ذِي القِفَارةِ عاقِلِ (١٠٩)

وعند توجيهه للقراءات في هذه الآية ذكر القُرطبيُّ ما نصُّه : « وقد يجوز أن يكون معنى الكلام: ولكن البارَّ مَنْ آمن بالله، فيكون»البر» مصدرًا وُضع موضعَ الاسم.» (١١٠)

وفي (الكشَّاف) « وعن المبرِّد لو كنتُ ممن يقرأ القرآنَ لقرأت (ولكن

(١٠٧) انظر آراء النُّحاة والمفسِّرين حولَ هذه الآية في المصادر الآتية : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٦٥, جامع البيان : ٣ - ٣٣٩, الكشَّاف : ١ - ٢٤٣, المحرَّر الوجيز : ١ - ٢٢٩, مفاتيح الغيب : ١ - ٧٤١, الجامع : ٢ - ٢٣٩, البحر المحيط : ٢ - ٥, الدُّر المصون : ١ - ٦٥١, ٦٥٢.

(١٠٨) مجاز القرآن : صنعة أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى التَّقفي المُتوفَّ سنة ٢١٠ هـ عارضه بأصوله وعلَّقَ عليه الدُّكتور محمَّد فؤاد سزكين, النَّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٤م. ص ٦٥.

(١٠٩) ديوانه من السِّتَّة ٢٢, وآمالي المرتضى ١ - ١٥٥, والإنصاف لابن الأنباري ١٦٤, والسَّمط ٤٦٥, ومعجم البلدان ٤ - ٥٦١, في مادة « مطارة «.

(١١٠) جامع البيان : ٣ - ٣٣٩.

البرَّ) بفتح الباء وقرئ (ولكن البار) « [١١١].

وقد ذكر صاحبُ (الدُّر المصون) في هذهِ الآية خمسةَ أوجهٍ, إذ قالَ : « قوله: {ولكنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ} في هذهِ الآيةِ خمسةُ أوجهٍ، أحدثها: أنَّ «البِرَّ» اسمُ فاعلٍ من بَرَّ يَبَرُّ فهو بِرٌّ، والأصلُ: بَرِرٌ بكسرِ الراءِ الأولى بزنة «فَطِن»، فلما أُريد الإدغام نُقِلَتْ كسرةُ الراءِ إلى الباءِ بعد سَلْبِها حركتَها، فعلى هذه القراءةِ لا يَحتاج الكلامُ إلى حَذْفٍ وتأويلٍ لأنَّ البِرَّ من صفاتِ الأعيان، كأنه قيل: ولكن الشخصَ البِرِّ مَنْ آمن.

الثاني: أنَّ في الكلامِ حذفَ مضافٍ من الأولِ تقديرُه: «ولكنَّ ذا البِرَّ مَنْ آمن».

الثالث: أن يكونَ الحذفُ من الثاني، أي: ولكن البِرَّ بِرُّ مَنْ آمن، وهذا تخريجُ سيبويه واختيارُه، وإنما اختارَه لأنَّ السابق إنما هو نفيُ كونِ البر هو تَوْلِيَهُ الوجهِ قِبَل المشرقِ والمغربِ، فالذي يُسْتَدْرك إنما هو نفيُ كونِ البر هو تَوْلِيَةُ الوجهِ قِبَل المشرقِ والمغربِ، فالذي يُسْتَدْرك إنما هو من جنس ما يُنْفَى، ونظيرُ ذلك: «ليس الكرمُ أن تَبْذُلَ درهماً ولكن الكرمَ بَذْلُ الآلاف» ولا يناسِبُ «ولكن الكريم مَنْ يبذُلُ الآلاف».

الرابع: أن يُطْلَقَ المصدرُ على الشخصِ مبالغةً نحو: «رجلٌ عَدْلٌ». ويحكى عن المبردِ: «لو كنتُ مِمّن يقرأُ لقرأتُ: «لكنَّ البَرَّ» بفتح الباء وإنما قال ذلك لأن «البَرَّ» اسم فاعل تقول: بَرَّ يبَرُّ فهو بارٌّ وبَرٌّ، فتارةً تأتي به على فاعِل وتارة على فَعِل.

الخامس: أن المصدرَ وقع مَوْقِع اسمِ الفاعلِ نحو: «رجل عَدْل» أي عادل، كما قد يَقَعُ اسمُ الفاعلِ موقعه نحو: «أقائماً وقد قعد الناس» في قولٍ، وهذا رأيُ الكوفيين.

(١١١) الكشَّاف : ١ - ٢٤٣.

والَوْلَى فيه ادِّعاءُ أنه محذوفٌ من فاعل، وأن أصلَه بارٌّ، فجُعل «بِرَّاً» كـ«سِرّ»، وأصلُه: سارٌّ، وربٌّ أصله رابٌّ. وقد تقدَّم ذلك.

وجَعَلَ الفراء «مَنْ آمَنَ» واقعاً موقِعَ «الإيمان» فأوقَعَ اسمَ الشخصِ على المعنى كعكسه، كأنه قال: «ولكنَّ البِرَّ الإيمانُ بالله». قال: «والعربُ تَجْعَلُ الاسمُ خبراً للفعلِ وأنشد:

لَعَمْرُك ما الفتيانُ أن تَنْبُت اللِّحى ** ولكنما الفتيانُ كلُّ فتىً نَدِي

جَعَلَ نباتَ اللحيةِ خبراً للفتيانِ، والمعنى: لَعَمْرُكَ ما الفتوةُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحى.

وقرأ نافع وابن عامر: «ولكنْ البِرُّ» هنا وفيما بعد بتخفيف لكن، وبرفع «البرُّ»، والباقون بالتشديد ولنصب، وهما واضحتان ممَّا تقدَّم في قولِه: {ولكنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ}، وقرئ: «ولكنَّ البارَّ» باللف وهي تقوّي أنَّ «البِرَّ» بالكسرِ المرادُ به اسمُ الفاعلِ لا المصدرُ.

وَوَحَّد «الكتابَ» لفظاً والمرادُ به الجمعُ، وحَسَّن ذلك كونُه مصدراً في الأصلِ، أو أرادَ به الجنسَ، أو أراد به القرآنَ، فإنَّ مَنْ آمنَ به فقد آمَنَ بكلِّ الكتبِ فإنَّه شاهدُ لها بالصحةِ. «(١١٢)

* الشَّاهد الثَّاني :

قوله تعالى : [أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا] {الكهف:٤١}

وقوله تعالى : [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ] {الملك: ٣٠}

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرين في هاتين الآيتين حول كلمة (غَوْرًا) وجاءت على النَّحو التَّالي : ذكرَ الطَّبريُّ عند تفسيره

(١١٢) الدُّر المصون : ١ - ٦٥١, ٦٥٢.

للآية الثَّانية ما نصُّه : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين:(أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم العادلون بالله(إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) يقول: غائرا لا تناله الدلاء(فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) يقول: فمن يجيئكم بماء معين، يعني بالمعين: الذي تراه العيون ظاهرا... وقيل غورا فوصف الماء بالمصدر، كما يقال: ليلة عم، يراد: ليلة عامة.» (١١٣)

وقالَ صاحبُ (الكشَّاف) : « وزلقاً وغوراً كلاهما وصف بالمصدرِ. وقالَ : « (غوراً) غائراً ذاهباً في الأرضِ. وعن الكلبي لا تناله الدّلاءُ, وهو وصفٌ بالمصدرِ كعدل ورضا « (١١٤)

وقالَ صاحبُ (المحرَّر الوجيز) : « والغورُ مصدرٌ يوصفُ بهِ على معنى المُبالغةِ ومنه قولُ الأعرابي : وغادرْتُ التُّرابَ موراً والماءَ غوراً. « (١١٥)

وذكرَ صاحبُ (مفاتيح الغيب) ما نصُّه : « قال أصحاب العربية وهم الفراء والمبرد والزجاج وابن الأنباري {بِدَمٍ كَذِبٍ } أي مكذوب فيه، إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ولكنه جعل نفسه كذباً للمبالغة قالوا : والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال : ماء سكب، أي مسكوب ودرهم ضرب الأمير وثوب نسج اليمن، والفاعل كقوله : {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا} (الملك : ٣٠) ورجل عدل وصوم، ونساء نوح ولما سميا بالمصدر سمي المصدر أيضاً بهما فقالوا : للعقل المعقول، وللجلد المجلود، ومنه قوله تعالى {بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} (القلم : ٦) وقوله : {إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} (سبأ : ٧) «

وقالَ : « وقوله : {غَوْرًا} أي غائراً ذاهباً في الأرض يقال : غار الماء يغور غوراً، إذا نضب وذهب في الأرض، والغور ههنا بمعنى الغائر سمي بالمصدر كما يقال : رجل عدل ورضا، والمعين الظاهر الذي تراه

(١١٣) جامع البيان : ٢٣ - ٥٢٠.
(١١٤) الكشّاف : ٢ - ٦٧٦., ٤ - ٥٨٨.
(١١٥) المحرَّر الوجيز : ٥ - ٣١٧.

العيون فهو من مفعول العين كمبيع، وقيل : المعين الجاري من العيون من الإمعان في الجري كأنه قيل : ممعن في الجري، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. «

وعند تفسيره لآية سورة الكهفِ قالَ : « {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} أي فتصبح جنتك أرضاً ملساء لا نبات فيها والصعيد وجه الأرض، زلقاً أي تصير بحيث تزلق الرجل عليها زلقاً ثم قال : {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا} أي يغوص ويسفل في الأرض : {فَلَن تَسْتَطِيعَ لَه طَلَبًا} أي فيصير بحيث لا تقدر على رده إلى موضعه. قال أهل اللغة في قوله : {مَاؤُهَا غَوْرًا} أي غائراً وهو نعت على لفظ المصدر كما يقال : فلان زور وصوم للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال نساء نوح أي نوائح. « (١١٦)

وعند تناوله لآية سورة الكهف قالَ صاحبُ (الجامع) : « (أو يصبح ماؤها غورا) أي غائرا ذاهبا، فتكون أعدم أرض للماء بعدأن كانت أوجد أرض للما ء .

والغور مصدر وضع موضع الاسم، كما يقال: رجل صوم وفطر وعدل ورضا وفضل وزور ونساء نوح، ويستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع.قال عمرو بن كلثوم:

تظل جياده نوحا عليه ** مقلدة أعنتها صفونا آخر

هريقى من دموعهما سجاما ** ضباع وجاوبي نوحا قياما

أي نائحات. وقيل: أو يصبح ماؤها ذا غور، فحذف المضاف، مثل « واسأل [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ {يوسف:٨٢} « ذكره النحاس.وقال الكسائي: ماء غور. وقد غار الماء يغور غورا وغوورا، أي سفل في الارض، ويجوز الهمزة لانضمام الواو.وغارت عينه تغور غورا وغوورا، دخلت في الرأس.وغارت

(١١٦) مفاتيح الغيب : ١ - ٧٤١, ١ - ٢٤٩٨, ١ - ٢٩١٧, ١ - ٤٥٠٧.

تغار لغة فيه.وقال: أغارت عينه أم لم تغارا, وغارت الشمس تغور غيارا، أي غربت.قال أبو ذؤيب:

هل الدهر إلا ليلة ونهارها ** وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

(فلن تستطيع له طلبا) أي لن تستطيع رد الماء الغائر، ولا تقدر عليه بحيلة .

وقيل: فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه.وإلى هذا الحديث انتهت مناظرة أخيه وإنذاره.» (١١٧)

وقال صاحبُ (الدُّر المصون) : « والزَّلَقُ والغَوْرُ في الأصلِ: مصدران وُصِف بهما مبالغةً.والعامَّة على فتحِ الغين. غار الماءُ يغورُ غَوْراً، غاض وذهب في الأرض. وقرأ البرجميُّ بضمِّ الغين لغةً في المصدر. وقرأتْ طائفةٌ «غُؤْوراً» بضمِّ الغينِ والهمزةِ وواوٍ ساكنة. وهو مصدرٌ أيضاً يُقال: غار الماءُ غُؤْوراً مثل: جَلَسَ جُلوساً. « (١١٨)

*** الشَّاهد الثَّالث :**

قوله تعالى : [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى] {طه:١٢٩} (١١٩)

دار أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرين حول قوله تعالى (لِزَامًا) وجاءت أقوالهم على النَّحو التَّالي :

إذ قالَ الطَّبريُّ : « يقول تعالى ذكره(وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يا محمد أن كلّ من قضى له أجلا فإنَّه لا يخترمه قبل بلوغه أجله(وَأَجَلٌ مُسَمًّى)

(١١٧) الجامع : ١٠ - ٤٠٩.
(١١٨) ١ - ٣٩١٥.
(١١٩) انظر أراء العلماء حول هذه الآية في المصادر الآتية : جامع البيان : ١٨ - ٣٩٩, الكشَّاف : ٣ - ٩٦, الجامع : ١١ - ٢٦٠, ١٣ - ٨٥, ٨٦, والبحر المحيط : ٦ - ٢٦٧, والدُّر المصون : ١ - ٤١٢٤, ٤١٢٥, والتَّحرير والتَّنوير : ١٦, ٣٣٦, ٣٣٧.

يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أمّ الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه(لَكَانَ لِزَامًا) يقول: للازمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله(لَكَانَ لِزَامًا) قبل قوله(أَجَلٍ مُسَمًّى) ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون.» (١٢٠)

واللزام عند صاحب (الكشَّاف) إمَّا مصدر لازم وصف به, وإمَّا فعال بمعنى مفعل, أي ملزم, كأنَّهُ آلة اللزوم لفرط لزومه... (١٢١)

وعند صاحب (الجامع) ما يلي : « وقوله تعالى: (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) فيه تقديم وتأخير، أي ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، قاله قتادة.

واللزام الملازمة، أي لكان العذاب لازما لهم.وأضمر اسم كان. قال الزجاج: (وأجل مسمى) عطف على « كلمة «...

وقد وجَّه صاحب (الدُّر المصون) الآية نحويًا على النَّحو التَّالي : قالَ : « قوله: {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى}: في رفعِه وجهان، أظهرُهما: عطفُه على «كلمةٌ» أي: ولولا أجلٌ مُسَمًّى لكان العذابُ لا زماً لهم. الثاني: . جَوَّزه الزمخشريُّ . وهو أَنْ يكونَ مرفوعاً عطفاً على الضمير المستتر. والضميرُ عائدٌ على الأخذِ العاجلِ المدلولِ عليه بالسياقِ. وقام الفصلُ بالجرِّ مَقامَ التأكيدِ. والتقدير: ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ ربك لكان الأخذُ العاجل وأجلٌ مُسَمًّى لازِمَيْن لهم، كما كانا لازِمَيْنِ لعادٍ وثمودَ، ولم ينفردِ الأجلُ المُسَمى دون الأَخذِ العاجل.

قلت: فقد جعل اسمَ «كان» عائداً على ما دَلَّ عليه السياقُ، إلاَّ أنه قد تُشْكِلُ عليه مسألةٌ: وهو أنه قد جَوَّز في «لزام» وجهين، أحدهما: أَنْ يكونَ مصدرَ لازَمَ كالخِصام، ولا إشكال على هذا.

(١٢٠) جامع البيان : ١٨ - ٣٩٩.
(١٢١) الكشاف : ٣ - ٩٦.

والثاني: أن يكون وصفاً على فِعال بمعنى مُفْعِل أي: مُلْزِم، كأنه آلةُ اللُّزوم لفَرْطِ لُزومه كما قالوا: لِزازُ خَصْمٍ، وعلى هذا فيُقال: كان ينبغي أَنْ يطابق في التثنية فيقال: لِزَامَيْنِ بخلاف كونه مصدراً فإنه يُفْرَدُ على كل حال.

وجَوَّز أبو البقاء أن يكونَ «لزاماً» جمعَ لازم كقِيام جمعَ قائِم.» (١٢٢)

وعند تفسيره لهذه الآية ذكرَ صاحبُ (التَّحرير والتَّنوير) ما نصُّه : « واللِزام بكسر اللام : مصدر لاَزَم : كالخصام، استعمل مصدراً لفعل لَزِم الثاني لقصد المبالغة في قوة المعنى كأنه حاصل من عدة ناس. ويجوز أن يكون وزن فِعال بمعنى فاعل، مثل لزاز في قول لبيد :

منا لزاز كريهة جذّامها

وسِداد في قول العَرَجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ** ليوم كريهة وسِدادِ ثَغْر

أي : لكان الإهلاك الشديد لازماً لهم.

فانتصب (لزاماً) على أنه خبر(كانَ)، واسمُها ضمير راجع إلى الإهلاك المستفاد من كم أهلكنا ((١٢٨)، أي لكان الإهلاك الذي أُهلك مثله مَن قبلهم من القرون، وهو الاستيصال، لازماً لهم.» (١٢٣).

وينطبق على قوله تعالى : [قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا] {الفرقان:٧٧}. ما انطبق على آية سورة طه السَّابقة.

(١٢٢) الدُّر المصون : ١ - ٤١٢٤, ٤١٢٥.
(١٢٣) التَّحرير والتَّنوير : ١٦ - ٣٣٦, ٣٣٧.

*** الشَّاهد الرَّابع :**

قوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] {البقرة:٦} (١٢٤) تركَّزت أقوالُ النُّحاةِ والمُفسِّرين في هذه الآيةِ وغيرها من الآيات القرآنية حول كلمة (سواء) وجاءت أقوالُهم على النَّحو التَّالي : إذ قالَ الطَّبريُّ عند تفسيره لآية سورة البقرة : «وتأويل»سواءٌ «: معتدل. مأخوذ من التَّساوي، كقولك:»مُتَساوٍ هذان الأمران عندي»، و»هما عِندي سَواءٌ»، أي هما متعادلان عندي، ومنه قول الله جل ثناؤه:(فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) [سورة الأنفال: ٥٨]، يعني: أعْلمهم وآذِنْهم بالحرب، حتى يَستوي علمُك وعلمُهم بما عليه كلٌّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخر. فكذلك قوله»سَواءٌ عليهم»: معتدلٌ عندهم أيّ الأمرين كان منك إليهم، الإنذار أم ترك الإنذار لأنهم لا يؤمنون ، وقد خَتمتُ على قلوبهم وسمعهم. ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

تُغِذُّ بيَ الشّهبَاءُ نَحْوَ ابن جَعْفَرٍ ** سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا ونَهَارُهَا(١٢٥)

يعني بذلك: معتدلٌ عندها في السير الليلُ والنهارُ، لأنه لا فُتُورَ فيه. ومنه قول الآخر (١٢٦)

وَلَيْلٍ يَقُولُ المَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِه ** سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا

لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرًا ضعيفًا من ظُلْمته. «(١٢٧)

وذكرَ صاحبُ (الكشَّاف) ما نصُّه : « (سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف

(١٢٤) انظر آراء العلماء في (سواء) المصادر الآتية : جامع البيان : ١ - ٢٥٦, ٢٥٧. الكشَّاف : ١ - ٨٧, ١ - ٣٩٨, ٢ - ١١٩, ٣ - ١٤٠, ٣ - ١٥٢, ٤ - ٢٩٣. والمحرَّر الوجيز : ١ - ٧٧, ١ - ٤٦٣, ٢ - ٦٢٣, ٣ - ٣٠٤, ٤ - ١٤٠, ٥ - ٦, ٥ - ٧٥. ومفاتيح الغيب : ١ - ٢٠٧, ٢٠٨, ١ - ١١٦٨, ١ - ١٢٣٠, ١ - ٢٥٨٣, ١ - ٢٦٣٣. والجامع : ١ - ١٨٤, ٤ - ١٠٦. والبحر المحيط : ١ - ١٧٠, ١٧١, ١- ٥١٧. والدُّر المصون : ١ - ٧٢, ٧٣, ٧٤, ١ - ١٢٢٩٣, ١٢٩٤, ١ - ١٤١٢, ١ - ٣٥٥٥. والتَّحرير والتَّنوير : ١ - ٢٤٩, ٢٥٠.

(١٢٥) ديوانه : ١٦٣، والكامل للمبرد ١ : ٣٩٨، ٣٩٩. يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. أغذ السير وأغذ فيه: أسرع. ورواية ديوانه، والكامل»تقدت». وتقدى به بعيره : أسرع على سنن الطريق. والشهباء : فرسه، للونها الأشهب، وهو أن يشق سوادها أو كمتتها شعرات بيض حتى تكاد تغلب السواد أو الكمتة.

(١٢٦) الشعر لمضرس بن ربعي الفقعسي. حماسة ابن الشجري : ٢٠٤

(١٢٧) جامع البيان : ١ - ٢٥٦, ٢٥٧.

به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى(تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) آل عمران ٦٤ (في أربعة أيام سواء للسائلين) فصلت ١٠ بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لإنَّ و» أأنذرتهم أم لم تنذرهم « في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع الابتداء (وسواء)خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإنَّ فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل... « (١٢٨)

وقالَ صاحبُ (المحرَّر الوجيز) : « وقوله « سواء عليهم « معناه معتدل عندهم ومنه قول الشاعر أعشى قيس :

وَلَيْلٍ يَقُولُ المَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِه ** سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا

« الطويل «. قال أبو علي في اللفظة أربع لغات سوى بكسر السين وسواء بفتحها والمد وهاتان لغتان معروفتان ومن العرب من يكسر السين ويمد ومنهم من يضم أوله ويقصره وهاتان اللغتان أقل من تينك. ويقال سي بمعنى سواء كما قالوا قي وقواء. و» سواء « رفع على خبر « إن « أو رفع على الابتداء وخبره فيما بعده والجملة خبر « إن « ويصح أن يكون خبر « إن « « لا يؤمنون « «.

وقالَ عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران [قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] {آل عمران:٦٤}: « قال الفقيه الإمام وقوله « سواء « نعت للكلمة قال قتادة والربيع وغيرهما معناه إلى

(١٢٨) الكشَّاف : ١ - ٨٧.

كلمة عدل فهذا معنى السواء وفي مصحف عبد الله بن مسعود إلى كلمة عدل بيننا وبينكم كما فسر قتادة والربيع وقال بعض المفسرين معناه إلى كلمة قصد.

قال الفقيه الإمام أبو محمد وهذا قريب في المعنى من الأوَّل والسَّواء والعدل والقصد مصادر وصف بها في هذه التقديرات كلها والذي أقوله في لفظة « سواء « إنَّها ينبغي أن تفسر بتفسير خاص بها في هذا الموضع وهو أنه دعاهم إلى معان جميع الناس فيها مستوون صغيرهم وكبيرهم وقد كانت سيرة المدعوين أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا فلم يكونوا على استواء حال فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه ف « سواء « على هذا التأويل بمنزلة قولك لآخر هذا شريكي في مال سواء بيني وبينه والفرق بين هذا التفسير وبين تفسير اللفظة بعدل أنك لو دعوت أسيرا عندك إلى أن يسلم أو تضرب عنقه لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو العدل وعلى هذا الحد جاءت لفظة « سواء « في قوله تعالى « فانبذ إليهم على سواء « الأنفال ٥٨ على بعض التأويلات ولو دعوت أسيرك إلى أن يؤمن فيكون حرا مقاسما لك في عيشك لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو استواء الحال على ما فسرته واللفظة على كل تأويل فيها معنى العدل ولكني لم أر لمتقدم أن يكون في اللفظة معنى قصد استواء الحال وهو عندي حسن لأن النفوس تألفه والله الموفق للصواب برحمته. « (١٢٩).

وعند تفسيره لقولهِ تعالى :

[وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ] {الأنفال:٥٨}

وقوله « على سواء « قيل معناه حتى يكون الأمر في بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون فيه أي في استشعار الحرب سواء وقيل

(١٢٩) المحرَّر الوجيز : ١ - ٤٦٣.

معنى قوله « على سواء « أي على معدلة أي فذلك هو العدل والاستواء في الحق قال المهدوي معناه جهرا لا سرا.

قال القاضي أبو محمد وهذا نحو الأول وقال الوليد بن مسلم « على سواء « معناه على مهل كما قال تعالى « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدهم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر «. قال القاضي أبو محمد واللغة تأبى هذا القول وذكر الفراء أن المعنى انبذ إليهم على اعتدال وسواء من الأمر أي بين لهم على ما قدر ظهر منهم لا تفرط ولا تفجأ بحرب بل افعل بهم مثلما فعلوا بك. قال القاضي أبو محمد يعني موازنة ومقايسة وقوله تعالى « إن الله لا يحب الخائنين « يحتمل أن يكون طعنا على الخائنين من الذين عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يريد فانبذ إليهم على سواء حتى تبعد عن الخيانة فإن الله لا يحب الخائنين فيكون النبذ على هذا التأويل لأجل أن الله لا يحب الخائنين. والسَّواء في كلام العرب قد يكون بمعنى العدل والمعدلة ومنه قوله تعالى « إلى كلمة سواء بيننا وبينكم « ومنه قول الراجز :

فاضرب وجوه الغدر الأعداء ** حتى يجيبوك إلى السواء

« الرجز « وقد يكون بمعنى الوسط ومنه قوله تعالى « في سواء الجحيم « ومنه قول حسان بن ثابت :

يا ويح أنصار النبي ورهطه ** بعد المغيب في سواء الملحد

« الكامل « « (١٣٠)

وعند تفسيره لآية سورة الرَّعد [سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ] {الرعد:١٠} قالَ : « وقوله تعالى « سواء منكم « الآية « سواء « مصدر وهو يطلب بعده شيئين يتماثلان.

(١٣٠) المحرَّر الوجيز : ٢ - ٦٢٢, ٦٢٣.

ورفعه على خبر الابتداء الذي هو من والمصدر لا يكون خبرا إلا بإضمار كما قالت الخنساء :

فإنما هي إقبال وإدبار

« البسيط « أي ذات إقبال وإدبار.

فقال فرقة هنا المعنى ذو سواء وقال الزجاج كثر استعمال سواء في كلام العرب حتى جرى مجرى اسم الفاعل فلا يحتاج إلى إضمار.قال القاضي أبو محمد هو عندي كعدل وزور وضيف.وقال فرقة المعنى مستو منكم فلا يحتاج إلى إضمار. قال القاضي أبو محمد وضعف هذا سيبويه بأنه ابتداء بنكرة. ومعنى هذه الآية معتدل منكم في إحاطة الله تعالى وعلمه من أسر قوله فهمس به في نفسه « ومن جهر به « فأسمع لا يخفى على الله تعالى شيء.

وقوله تعالى [هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ] معناه من هو بالليل في غاية الاختفاء ومن هو متصرف بالنهار ذاهب لوجهه سواء في علم الله تعالى وإحاطته بهما « (١٣١).

وعند تفسيره لقولهِ تعالى في سورة فُصِّلت [وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ] {فصِّلت:١٠} ذكرَ القراءات المُختلفة في (سواء) ووجَّهها على النَّحو التَّالي: « وقرأ الحسن البصري وأبو جعفر وجمهور الناس (سواء) بالنصب على الحال أي سواء هي وما انقضى فيها.وقرأ أبو جعفر بن القعقاع (سواء) بالرفع أي هي سواء. وقرأ الحسن وعيسى وابن أبي إسحاق وعمرو بن عبيد (سواء) بالخفض على نعت الأيام. واختلف المتأولون في معنى « للسائلين « فقال قتادة والسدي معناه سواء لمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه وأراد العبرة فيه فإنه يجده كما قال عزَّ وجلَّ. وقال

(١٣١) المحرَّر الوجيز : ٣ — ٣٠٤.

ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيأ أمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين إليها من البشر فعبر عنهم ب (السائلين) بمعنى الطالبين لأنهم من شأنهم ولا بد طلب ما ينتفعون به فهم في حكم من سأل هذه الأشياء إذ هم أهل حاجة إليها ولفظة « سواء « تجري مجرى عدل وزور في أن ترد على المفرد والمذكر والمؤنث. « [١٣٢]

وقد ذكرَ صاحبُ (مفاتيح الغيب) في آيةِ سورة البقرة عدَّةَ مسائل جاءَت على النَّحو التَّالي : «أما قوله تعالى : {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنذرتهم أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} ففيه مسائل :

المسألة الأولى : قال صاحب الكشاف {سَوَاءَ} اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر منه قوله تعالى : {تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} (آل عمران : ٦٤) {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلين} (فصلت : ١٠) بمعنى مستوية، فكأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه.

المسألة الثانية : في ارتفاع سواء قولان : أحدهما : أن ارتفاعه على أنه خبر لأن و{أأنذرتهم أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} في موضع الرفع به على الفاعلية، كأنه قيل، إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول : إن زيداً مختصم أخوه وابن عمه. الثاني : أن تكون أنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبره مقدماً بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لأن، واعلم أن الوجه الثاني أولى ؛ لأن «سواء» اسم، وتنزيله بمنزلة الفعل يكون تركاً للظاهر من غير ضرورة وأنه لا يجوز، وإذا ثبت هذا فنقول : من المعلوم أن المراد وصف الإنذار وعدم الإنذار بالاستواء، فوجب أن يكون سواء خبراً فيكون الخبر مقدماً. وذلك يدل على أن تقديم الخبر على المبتدأ جائز، ونظيره وله تعالى

(١٣٢) المحرَّر الوجيز : ٥ - ٦.

: {سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ } (الجاثية : ٢١) « [١٣٣] وعند توجيههِ لقولهِ تعالى : [قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] {آل عمران:٦٤} قالَ : « أمَّا قوله تعالى : {تَعَالَوْا } فالمراد تعيين ما دعوا إليه والتوجه إلى النظر فيه وإن لم يكن انتقالاً من مكان إلى مكان لأنَّ أصلَ اللفظِ مأخوذٌ من التَّعالي وهو الارتفاعُ من موضعٍ هابطٍ إلى مكانٍ عالٍ، ثمَّ كثرُ استعمالهُ حتَّى صار دالاً على طلب التَّوجه إلى حيث يدعى إليه.

أما قوله تعالى : {إِلَى كَلِمَةٍ سَوَءٍ بَيْنَنَا} فالمعنى هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، لا ميل فيه لأحد على صاحبه، السَّواء هو العدل والإنصاف، وذلك لأنَّ حقيقة الإنصاف إعطاء النصف، فإنَّ الواجبَ في العقولِ تركُ الظلم على النَّفس وعلى الغير، وذلك لا يحصل إلاَّ بإعطاء النِّصف، فإذا أنصف وترك ظلمه أعطاه النِّصف فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدالُ، وإذا ظلم وأخذ أكثر مما أعطى زال الاعتدالُ فلمَّا كان من لوازم العدلِ والإنصافِ التسويةُ جُعِلَ لفظُ التَّسويةِ عبارة عن العدل.

ثمَّ قال الزَّجَّاجُ {سَوَاءٌ } نعت للكلمة يريد : ذات سواء، فعلى هذا قوله {كَلِمَةٍ سَوَءٍ } أي كلمة عادلة مستقيمة مستوية، فإذا آمنا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامة. « [١٣٤]

وعند تفسيره لآية سورة الرَّعدِ قالَ : « لفظ (سواء) يطلب اثنين تقول : سواء زيد وعمرو ثمَّ فيه وجهان :

الأول : أن سواء مصدر والمعنى : ذو سواء كما تقول : عدل زيد وعمرو أي ذوا عدل.

(١٣٣) مفاتيح الغيب : ١ - ٢٠٧, ٢٠٨.
(١٣٤) مفاتيح الغيب : ١ - ١١٦٨.

الثاني : أن يكون سواء بمعنى مستو وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى الإضمار إلا أنَّ سيبويه يستقبح أن يقول مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين إذا كانت نكرات لا يبدأ بها.

ولقائل أن يقول : بل هذا الوجه أولى لأن حمل الكلام عليه يغني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل. « [١٣٥]

وعند توجيهه لقولهِ تعالى في سورة إبراهيم [قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ] {إبراهيم:٢١} قالَ « أي مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونظيره : {فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ } (الطور : ١٦). « [١٣٦]

وعند توجيهه لآية سورة البقرة قالَ صاحبُ (الجامع) [١٣٧]: « قوله تعالى: (سواء عليهم) معناه معتدل عندهم الإنذار وتركه، أي سواء عليهم هذا.وجئ بالاستفهام من أجل التسوية، ومثله قوله تعالى:[قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ] {الشعراء:١٣٦} وقال الشاعر[١٣٨] :

وليل يقولُ النَّاس من ظلماته ** سواء صحيحات العيون وعورها.

وعند توجيهه لآية سورة آل عمران قالَ : « والسَّواءُ العدلُ والنّصفةُ، قاله قتادة.

وقال زهير :

أروني خطة لا ضيم فيها ** يسوي بيننا فيها السواء الفراء

ويقال في معنى العدل سوى وسوى، فإذا فتحت السين مددت وإذا كسرت أو ضممت قصرت، كقوله تعالى: « مكانا سوى « [طه: ٥٨].قال: وفي

(١٣٥) مفاتيح الغيب : ١ - ٢٥٨٣.
(١٣٦) مفاتيح الغيب : ١ - ٢٦٣٣.
(١٣٧) الجامع : ١ - ١٨٤.
(١٣٨) هو أعشى قيس الملقَّب بالأعشى الكبير.

راءة عبد الله « إلى كلمة عدل بيننا وبينكم «. « [١٣٩]

وعند توجيهه لآية سورة البقرة قالَ صاحبُ (الدُّر المصون) : « و»سواء» اسمٌ بمعنى الاستواء فهو اسمُ مصدرٍ ويُوصف على أنه بمعنى مُسْتوي، فيتحمَّل حينئذ ضميراً، ويَرْفع الظاهرَ، ومنه قولُهم: مررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ» برفع «العَدَم» على أنه معطوفٌ على الضمير المستكِّن في «سواء»، وشذَّ عدمُ الفصل، ولا يُثَنَّى ولا يُجْمع: إمَّا بكونِه في الأصل مصدراً، وإمَّا للاستغناء عن تثنيته بتثنيةِ نظيرهِ وهو «سِيّ» بمعنى مِثْلَ، تقول: «هما سِيَّان» أي مَثْلان، قال:

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرها ** والشرُّ بالشرِّ عند الله سِيَّانِ

على أنه قد حُكي «سواءان» وقال الشاعر:

وليلٍ تقول الناسُ في ظُلُماته ** سواءٌ صحيحاتُ العيونِ وعُودُها

فسواءٌ خبر عن جمع وهو «صحيحات». وأصله العَدْل. قال زهير:

أَرُونا سُبَّةً لا عيبَ فيها ** يُسَوِّي بيننا فيها السَّواءُ

أي: يَعْدِل بيننا العَدْلُ، وليس هو الظرفَ الذي يُستثنى به في قولك: قاموا سَواءَ زيد، وإنْ شاركه لفظاً.»[١٤٠]

وعند تفسيره لآية سورة آل عمان ذكرَ القراءات الواردةَ في كلمة (سواء) ووجَّهها على النَّحو التَّالي : « وقرأ العامة: «سواءٍ» بالجر نعتاً لكلمة بمعنى عدل، ويَدُلُّ عليه قراءةُ عبد الله: "إلى كلمة عدل» وهذا تفسيرٌ لا قراءة. و»سواء» في الأصل مصدر، ففي الوصف التأويلاتُ الثلاثة المعروفةَ، ولذلك لم يُؤَنَّث كما لم يُؤَنَّث بـ»امرأة عدل».

(١٣٩) الجامع : ٤ - ١٠٦.
(١٤٠) الدُّر المصون : ١ - ٧٢, ٧٣.

وقرأ الحسن: «سواء» بالنصبِ وفيها وجهان :

أحدهما: نصبُها على المصدر، قال الزَّمخشري: «بمعنى استوت استواءً»، وكذا الحوفي.

والثاني: أنه منصوبٌ على الحال، وجاءت الحالُ من النكرة، وقد نَصَّ سيبويه عليه واقتاسه، وكذا قال الشيخ، ولكنَّ المشهورَ غيرُه، والذي حَسَّن مجيئَها من النكرةِ هنا كونُ الوصفِ بالمصدر على خلاف الأصل، والصفة والحال متلاقيان من حيث المعنى، وكأن الشيخ غَضَّ من تخريج الزَّمخشري والحوفي فقال: «والحالُ والصفة متلاقيان من حيث المعنى، والمصدرُ يحتاج إلى إضمار عامل وإلى تأويل «سواء» بمعنى استواء، والأشهرُ استعمال «سواء» بمعنى اسم الفاعل أي: «مُسْتَوٍ» قلت: وبذلك فَسَّرها ابن عباس فقال: «إلى كلمةٍ مستوية «. (١٤١)

وعند تفسيره لقولهِ تعالى [لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ] {آل عمران:١١٣} قالَ : « و»أمَّة» مرتفعة بـ»سواء» ارتفاعَ الفاعل، أي: ليس أهلُ الكتاب مستوياً منهم أمةٌ قائمةٌ موصوفةٌ بما ذُكِر وأمةٌ كافرة، فَحُذِفَتِ الجملةُ المعادِلة لدلالةِ القسمِ الأولِ عليها كقولِ الشاعر:

عداني إليها القلبُ إني لِأمْرِها ** سميعٌ فما أَدْري أَرُشْدٌ طِلابُها

أي: أم غَيٌّ، فَحُذِف «الغَيّ: لدلالةِ ضدِّه عليه، مثلُه قولُ الآخر:

أراكَ فما أَدْرِي أَهَمٌّ هَمَمْتَه ** وذو الهَمّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضائِلُ

أي: أَهَمٌّ هممته أم غيرُه، فَحُذِفَ للدلالةِ، وهو كثيرٌ، قال الفراء: «لأنَّ المساواة تقتضي شيئين كقولِهِ {سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ }، وقوله {سَوَاءً

(١٤١) الدُّر المصون : ١ - ١٢٩٣, ١٢٩٤.

مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}. وقد ضُعِّف قولُ الفراء من حيث الحذفُ ومن حيث وَضْعُ الظاهرِ موضِعَ المضمر، إذ الأصل: منهم أمةٌ قائمة، فَوُضِعَ «:أهلِ الكتابِ» موضعَ الضمير.والوجه أن يكونَ «ليسوا سواءً» جملةً تامة، وقولُه: {مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ} جملةٌ برأسها، وقولُه: {يَتْلُونَ} جملةً أخرى مبيِّنَةً لعدم استوائِهم... « (١٤٢)

وعند توجيهه لقولهِ تعالى في سورة الرَّعدِ قالَ : «

{ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }

قوله تعالى: {سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ}: في «سواءٌ» وجهان، أحدُهما: أنه خبرٌ مقدَّمٌ، و{مَّنْ أَسَرَّ} و{وَمَنْ جَهَرَ} هو المبتدأ، وإنما بم يُثَنَّ الخبر لأنه في الأصل مصدرٌ، وهو هنا بمعنى مُسْاوٍ، وقد تقدَّم الكلامُ فيه أوَّلَ هذا الموضوعِ، و»منكم» على هذا حالٌ من الضمير المستتر في «سواءٌ» لأنه بمعنى «مُسْتَوٍ». قال أبو البقاء: «ويَضْعُفُ أن يكونَ حالاً من الضمير في «أَسَرَّ» أو «جَهَرَ» لوجهين، أحدُهما: تقديمُ ما في الصلةِ على الموصولِ أو الصفة على الموصوف، والثاني: تقديمُ الخبر على «منكم»، وحقُّه أن يقعَ بعده». قلت: [قوله] «وحقُّه أن يقع بعده» يعني بعده وبعد المبتدأ، وإلا يَصِر كلامُه لا معنى له.

والثاني: أنه مبتدأ، وجاز الابتداءُ به لوصفِه بقوله «مِنْكم» وأَعْرَبَ سيبويه «سواءٌ عليه الخيرُ والشرُّ» كذلك. وقولُ ابن عطية أن سيبويه ضَعَّفَ ذلك بأنه ابتداءٌ بنكرة، غَلَطٌ عليه.» (١٤٣)

وعند توجيهه لآيةِ سورة البقرة قالَ صاحبُ (التَّحرير والتَّنوير) : «

وقوله : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) خبر (إنَّ الذين كفروا)

(١٤٢) الدُّر المصون ١ - ١٤١٢.
(١٤٣) الدُّر المصون : ١ - ٣٥٥٥.

و(سواء) اسم بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر دل على ذلك لزوم إفراده وتذكيره مع اختلاف موصوفاته ومخبراته فإذا أخبر به أو وصف كان ذلك كالمصدر في أن المراد به معنى اسم الفاعل لقصد المبالغة. وقد قيل إن (سواء) اسم بمعنى المثل فيكون التزام إفراده وتذكيره لأن المثلية لا تتعدد، وإن تعدد موصوفها تقول هم رجال سواء لزيد بمعنى مثل لزيد.

وإنما عدي سواء بعلى هنا وفي غير موضعٍ ولم يعلق بعند ونحوها مع أنه المقصود من الاستعلاء في مثله، للإشارة إلى تمكن الاستواء عند المتكلم وأنه لا مصرف له عنه ولا تردد له فيه فالمعنى سواء عندهم الإنذار وعدمه.

واعلم أن للعرب في سواء استعمالين : أحدهما أن يأتوا بسواء على أصل وضعه من الدلالة على معنى التساوي في وصف بين متعدد فيقع معه (سواء) ما يدل على متعدد نحو ضمير الجمع في قوله تعالى : (فهم فيه سواء ((النحل : ٧١) ونحو العطف في قول بثينة :

سواء علينا يا جميل بن معمر ** إذا مت بأساء الحياة ولينها

ويجري إعرابه على ما يقتضيه موقعه من التركيب، وثانيهما أن يقع مع همزة التسوية وما هي إلا همزة استفهام كثر وقوعها بعد كلمة) سواء (ومعها) أم (العاطفة التي تسمى المتصلة كقوله تعالى)) سواء علينا أجزعنا أم صبرنا (وهذا أكثر استعمالها وتردد النحاة في إعرابه وأظهر ما قالوه وأسلِّمُه أن) سواء (خبر مقدم وأن الفعل الواقع بعده مقترناً بالهمزة في تأويل مبتدأ لأنه صار بمنزلة المصدر إذ تجرد عن النسبة وعن الزمان، فالتقدير في الآية سواء عليهم إنذارك وعدمه.» (١٤٤)

(١٤٤) التَّحرير والتَّنوير : ١ - ٢٤٩, ٢٥٠.

الفصل الخامس

إقامة المصدر مقام الظَّرف

– ما ينوبُ عن الظَّرف :

تحت هذا العنوان كتب صاحب كتاب (النَّحو الوافي) ما يلي[١٤٥] :

(أ) يكثرُ حذفُ الظَّرفِ الزَّماني المُضاف إلى مصدرٍ, وإقامة المصدرِ مقامه. فيُنصبُ مثله باعتباره نائباً عنه, وذلك بشرط أن يُعيَّنَ المصدرُ الوقتَ ويوضِّحَهُ, أو يُبيّنَ مقدارَهُ, وإن لم يُعيّنه ؛ فمثالُ الأوَّلِ : أخرجُ مِنَ البيتِ شروقَ الشَّمسِ, وأعودُ إليهِ غروبَها – أزوركم في العامِ الآتي قُدومَ الرَّاجعين مِنَ الحجِّ. (تُريدُ : أخرجُ مِنَ البيتِ وقت طلوعِ الشَّمس, وأعودُ إليهِ وقت غروبها – ووقت قدوم الرَّاجعين). فحذف الظَّرف الزَّماني : « وقت ». وقامَ مقامَهُ المصدرُ, وهو : (شروق – غروب – قُدوم), فأُربَ ظرفاً بالنِّيابةِ.

ومثالُ الثَّاني : أمكثُ عندك كتابةَ صفحة ؛ (أي : مدةَ كتابة صفحة), وأنتظرك لُبسَ الثِّيابِ, (أي: مدَّة لبسها), وأغيبُ غمضةَ عينٍ, (أي : مُدَّة غمضها), ففي هذه الصُّورِ – ونحوها – بيانٌ للمقدارِ الزَّمنيِّ الَّذي يدلُّ عليهِ المصدرُ في كُلِّ صورةٍ, دونَ أن يعيَّنَ ذلك الوقتِ. ويحدِّده: (أهو الصُّبحُ, أم الظّهُرُ, أم الغروب, أم غيرهما... ؟).

وقالَ : « وقد يُحذفُ الظَّرفُ وينوبُ عنه مصدرٌ مُضافٌ إلى اسمِ عينٍ[١٤٦] ثُمَّ يُحذفُ هذا المصدرُ المُضافُ أيضاً, ويحلُّ محلَّهُ اسمُ العينِ. باعتباره نائباً عن النَّائبِ عن الظَّرفِ الزَّمانيّ. ويُعربُ ظرفاً بالإنابةِ. نحو : لا أُكلِّمُ السَّفيهَ النَّيِّرَيْن – أي : مُدَّة طلوع النَّيِّرين ؛ (وهُما : الشَّمسُ والقمرُ) :

(١٤٥) النَّحو الوافي : ٢ - ٢٦٣, ٢٦٤. للأستاذ عبَّاس حسن, دار المعارف, الطَّبعة الخامسة

(١٤٦) أي : اسم ذات, أي : شيء حسي مُجسَّم.

فحذف الظَّرف الزَّماني ؛ وهو « مُدَّة « وقامَ مقامَهُ المصدرُ المُضافُ : « طلوع «, ثُمَّ حُذِفَ المصدرُ المُضافُ وحلَّ محلَّهُ المُضافُ إليهِ ؛ وهو : كلمة « النَّيِّرين «. وتُعربُ ظرفاً بالإنابةِ – كما قُلنا – ومن أمثلتِهم : لا أُجالسُ مُلحِداً الفَرْقَدَيْنِ (١٤٧), ولا أماشيه القَارِظَيْنِ (١٤٨) يُريدون : مُدَّةَ ظهورِ الفرقدين, ومُدَّةَ غيابِ القارِظَينِ. هذا والإنابةُ في كُلِّ ما سبق قياسيَّةٌ إذا تحقَّقَ ما شرحناه.

(ب) أمَّا نيابةُ المصدرِ عن ظرفِ المكانِ فقليلةٌ حتَّى قصروها على المسموعِ دونَ غيرِهِ – مثل كلمة: قُرْب – ؛ نحو : جلسْتُ قُربَ المِدفأةِ, أي : مكان قرب المدفأة. فكلمة : « قُرب « مصدرٌ بالنِّيابةِ. «

(١٤٧) اسم نجمين.
(١٤٨) رجلان خرجا يجمعان القَوَظَ (وهو : ثمرُ شجر السَّنط, ويُستخدمُ في الدِّباغةِ) فلم يرجعا.

الفصل السَّادس

إقامة المصدر مقام الفاعل

من الدَّواعي ما يقتضي حذفَ الفاعلِ دونَ فعلهِ. ويترتَّبُ على حذفهِ أمران محتومانِ ؛ أحدهما : تغييرٌ يطرأُ على فعلهِ, والآخرُ : إقامةُ نائب عنه يحلُّ محلَّهُ, ويجري عليهِ كثيرٌ من أحكامه... كأن يصير جزءاً أساسيَّاً في الجُملةِ ؛ لا يُمكنُ الاستغناءُ عنه, ويُرفعُ مثله ؛ وكتأخره عن عامله, وتأنيث عامله له أحياناً, وتجرُّد العامل من علامة تثنية أو جمع..., وكعدم تعدده, وكإغناء هذا النَّائب عن الخبرِ أحياناً في مثل : أمزروعٌ الحقلان ؟ (فالحقلانِ : نائب فاعل للمبتدأ اسم المفعول لا يرفعُ إلاَّ نائب فاعل ؛ كما عرفنا من قبل)... إلى غير هذا من الأحكامِ الحاصَّةِ بالفاعلِ, والَّتي قد تنتقلُ بعد حذفهِ إلى نائبهِ. ولكلٍّ واحدٍ من الأمرين تفصيلاتٌ وأحكامٌ تخصُّه..... (١٤٩)

والَّذي يصلحُ للنيابةِ عن الفاعلِ واحدٌ من أربعةِ أشياءَ, المفعول بهِ, والمصدرُ, والظَّرفُ, والجارُّ مع مجرورهِ... وأمَّا المصدرُ – ومثلُه اسمُ المصدرِ – فيصلحُ للنيابةِ عن الفاعلِ بشرطين ؛ أن يكونَ مُتصرّفاً, ومُختصَّاً. والمُرادُ بالتَّصرفِ : ألاَّ يلازمَ النّصبَ على المصدريَّةِ,, وإنَّما ينتقلُ بينَ حركاتِ الإعرابِ المُختلفةِ ؛ فتارةً يكونُ مرفوعاً, وأُخرى يكونُ منصوباً, أو مجروراً, على حسبِ حالةِ الجُملةِ ؛ مثل : فَهْم, جلوس, تعلُّم... ؛ نحو : الفَهْمُ ضروريٌّ للمُتعلِّمِ... اعتمدْتُ عَلَى الفَهْمِ... و... وكذا الباقي ونظائرُه مما لا يلازمُ النَّصبَ على المصدريَّةِ. لأنَّ ملازمتَه النَّصب على المصدريَّةِ تمنعُ أن يكونَ مرفوعاً مُطلقاً ؛ فلا يصلحُ نائب فاعل أو غيره من المرفوعاتِ. (١٥٠)

فإن كانَ المصدرُ – أو اسمه (١٥١) – مُلازماً النَّصبَ على المصدريَّةِ لم

(١٤٩) النَّحو الوافي : ٢ - ٩٧, ٩٨.
(١٥٠) النَّحو الوافي : ٢ - ٩٧, ١١١, ١١٣, ١١٤.
(١٥١) اسمُ المصدرِ في جميعِ ألفاظهِ وصيغهِ مقصورٌ على السَّماعِ, (كما سيجيء في الباب الخاص بتعريفه وبأحكامه - النَّحو

يكن مُتصرِّفاً ولم يصحّ اختيارُه

للنِّيابةِ عن الفاعلِ ؛ مثل : « مَعَاذ « ؛ فإنَّهُ مصدرٌ ميميٌّ لم يشتهر استعمالُه عن العربِ إلاَّ منصوباً مُضافاً (١٥٢) في نحوِ : معاذَ اِلله أن يغدرَ الأمينُ. ومثل : « سُبحانَ « (١٥٣) ؛ فإنَّهُ اسمُ مصدرٍ لم يشتهر استعمالُه عن العربِ كذلك إلاَّ منصوباً مُضافاً – في الأغلبِ –, فلو وقع أحدُهما نائب فاعل لصارَ مرفوعاً, ولخرجَ عن النَّصبِ الواجبِ لهُ, وهو ضبطٌ لا يصحُّ مُخالفته, ولا الخروجُ عليهِ ؛ حرصاً على اللُّغةِ, ومُحافظةً على طرائقها المشهورة.

والمُرادُ بالاختصاصِ : أن يكتسبَ المصدرُ من لفظٍ آخرٍ معنىً زائداً على معناه المبهمِ, المقصورِ على الحدثِ المُجرَّدِ ؛ ليكونَ في الإسنادِ إليهِ فائدةٌ. فالمعاني المُبهمةُ المُجرَّدةُ (مثل ؛ قراءة – أكل – سفر –... و... وأمثالها) ؛ يدلُّ كُلٌّ منها على معناه الَّذي يُفهمُ من لفظهِ نصَّاً, دونَ زيادةِ شيءٍ عليهِ ؛ فكلمةُ : « قراءة « ليسَ في معناها الحرفي ما يدلُّ على أنَّها قراءةٌ سهلةٌ أو صعبةٌ, نافعةٌ, أو ضارَّةٌ... و» الأكل « ليسَ في معناه الحرفي ما يدلُّ على أنَّهُ لذيذٌ أو بغيضٌ, قليلٌ أو كثيرٌ, حارٌّ أو باردٌ... و» السَّفر « ليسَ في معنى نصِّهِ الحرفي ما يدلُّ على أنَّهُ سفرٌ قريبٌ أو بعيدٌ, سهلٌ أو شاقٌّ, مرغوبٌ فيهِ أو مرغوبٌ عنهُ... وهكذا يدلُّ المصدرُ وحدُه – وكذا اسمه – على المعنى المُجرَّدِ ؛ أي : على ما يُسمونه : « الحدثَ المحض « فمثلُ هذا المصدرِ, أو اسمه لا يصلحُ أن يكونَ نائب فاعل ؛ لأنَّ الإسنادَ إليهِ لا يُفيدُ معنى جديداً أكثر من معنى فعلهِ ؛ فكأنَّهُ جاءَ لتأكيدِ معنى فعلهِ ؛ وتوكيدُ المعنى الموجودِ ليسَ هو المقصودُ الأساسيُّ من الإسنادِ, ولا يوصفُ بأنَّهُ معنى جديدٌ, فلا يصحُّ أن يُقالَ : عُلِمَ عِلْمٌ, فُهِمَ فَهْمٌ... إذ لابدَّ مع المصدرِ من زيادةِ معنى جديدٍ على معناه الأصلي

الوافي : ٣ مسألة ٩٩ صفحة ٢٠١.

(١٥٢) «معاذ « في نحو : معاذ اللهِ أن أنسى الفضل, مصدرٌ ميمي نائب عن اللفظِ بفعلهِ, (أي : يُغني عن التَّلفّظِ بفعلهِ). والأصلُ أعوذُ باللهِ معاذاً. ثُمَّ حذف الفعلُ, وقامَ المصدرُ نائباً عن لفظهِ, وأضيفَ ؛ فَصارَ : معاذ اللهِ, ويُعربُ مفعولاً مُطلقاً.

(١٥٣) اسم مصدر معناه التَّسبيح. وفعلُه : سبَّحَ.

؛ ليكونَ صالحاً للنيابةِ عن الفاعلِ, وهذه الزِّيادةُ تأتيه من خارجِ لفظهِ, وهي الَّتي تجعلهُ مُختصَّاً.

وتحدثُ بواحدٍ أو أكثر من أمورٍ مُتعدِّةٍ ؛ منها : وصفُه ؛ نحو : عُلِمَ عِلْمٌ نافعٌ – فُهِمَ فَهْمٌ عميقٌ. ومنها : إضافتُه ؛ نحو : عُلِمَ عِلْمٌ المُخترعين, وفُهِمَ فَهْمُ العباقرةِ. ومنها دلالتُه على العددِ ؛ نحو : قُرِئَ عشرونَ قراءةً... وغير هذا من كُلِّ ما يزيلُ إبهامَ المصدرِ, واسمه, ويزيدُ معناهما على مُجرَّدِ تأكيدِ معنى الفعلِ. ويجعلُ الإسنادَ إليهما مُفيداً فائدةً جديدةً أساسيَّةً. ومما سبقَ نعلمُ المُرادَ من قولهم المُختصرِ : « إنَّ المصدرَ يصلحُ للنيابةِ إذا كانَ مُفيداً « ويكتفون بهذهِ الجُملةِ, لأنَّ الإفادةَ لا تتحقَّقُ إلاَّ بالشَّرطين السَّالفين وهما : « التَّصرُّف والاختصاص «. (١٥٤)

(١٥٤) النَّحو الوافي : ٢ - ١١٤, ١١٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١ - الأحاجي النَّحويَّة : لمحمود بن عُمر الزَّمخشري, تحقيق مصطفى الحدري, مكتبة الغزالي حماة, سورية ١٩٦٩م.

٢ - ارتشاف الضَّرب من لسان العرب : لأبي حيَّان الأندلسيّ (ت ٧٥٤ هـ), تحقيق ودراسة د. رجب عثمان محمَّد, ومراجعة د. رمضان عبد التَّوَّاب, النَّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة, الطَّبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣ - أساس البلاغة : لمحمود بن عُمر الزَّمخشري, مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦م.

٤- الأشباه والنَّظائر في النَّحو : للعلاَّمة الشَّيخ جلال الدِّين السِّيوطي (٩١١هـ), وضع حواشيه فريد الشَّيخ, الطَّبعة الثَّانية, ٢٠٠٧م, دار الكُتب العلميَّة, بيروت لبنان.

٥ - إعراب القرآن : المنسوب للزجَّاج, تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري, دار الكُتب الإسلاميَّة, دار الكتاب المصري بالقاهرة, دار الكتاب اللبناني, بيروت.

٦ - بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروزآبادي. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

٧ - البحر المحيط : لأبي حيَّان الأندلسي (٧٥٤هـ) دار الكتب العلميَّة, لبنان, بيروت, الطَّبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م, تحقيق الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشَّيخ علي محمَّد معوَّض, د. زكريا عبد المجيد النوقي, المكتبة الشَّاملة, الإصدار الثَّاني.

٨ – البيان في غريب إعراب القرآن : لأبي الركات بن الأنباري (٥١٣هـ ٥٧٧هـ) تحقيق طه عبد المجيد طه, مراجعة مصطفى السَّقَّا, طبعة الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ٢٠٠٦م.

٩– تهذيب اللُّغة : للأزهري :محمَّد بن أحمد أبو منصور المتوفى (٣٧٠هـ) تحقيق محمَّد عوض مرعي, دار إحياء التُّراث العربي, بيروت, لبنان, الطَّبعة الأولى. ٢٠٠١م. موقع الكتاب : الورَّاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

١٠ – التِّبيان في إعراب القرآن : لأبي البقاء عبد الله بن الحُسين العُكبري (٥٣٨هـ ٦١٦م) مكتبة جزيرة الورد, مكتبة الإيمان القاهرة.

١١ – تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة : لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري, تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار, دار العلم للملايين, بيروت, الطَّبعة الرَّابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

١٢ – تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّازق الحُسيني, أبو الفيض, الملقب بمرتضى الزَّبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين, دار الهداية. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

١٣– التَّحرير والتَّنوير : لمحمد الطَّاهر بن محمد بن الطَّاهر بن عاشور التونسي, مؤسسة التَّاريخ العربي, بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م. مصدر الكتاب موقع مكتبة المدينة الرَّقميَّة. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني

١٤ – جامع البيان في تأويل أي القرآن : لمحمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبي جعفر الطَّبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق. أحمد محمَّد شاكر, مؤسَّسة الرِّسالة للنَّشر, الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م. المكتبة الشَّاملة. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.

١٥ – الجامع لأحكام القرآن : للقُرطبي, مصدر الكتاب : موقع يعسوب. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني

١٦ – جمهرة اللُّغة : لأبي بكر بن دُريد (٣٢٠هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين, بيروت الطَّبعة الأولى ١٩٨٧م.

– الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جنِّي, تحقيق محمَّد علي النَّجَّار, القاهرة ١٩٥٢م.

١٧ – الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون : لأحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم المعروف بالسَّمين الحلبي, المتوفى سنة (٧٥٦ هـ). المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

١٨– الدُّر اللوامع على جمع الجوامع, لأحمد بن الأمين الشَّنقيطي, القاهرة, ١٣٢٨هـ.

١٩– شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك : لقاضي القضاة بهاء الدِّين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (٦٨٩ – ٧٩٦هـ) جزءان, نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة, دار مصر للطباعة سعيد جودة السَّحَّار وشركاه.

٢٠ – شرح قطر النَّدى وبل الصَّدى :. لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ومعه كتاب سبيل الهُدى بتحقيق شرح قطرالنَّدى, تأليف محمد محيي الدِّين عبد الحميد, المكتبة العصريَّة صيدا بيروت, الطَّبعة الرَّابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢١– شرح الأشموني على ألفيَّة ابن مالك, مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة (بلا تاريخ)

٢٢– شرح التَّسهيل : لابن مالك, تحقيق د. عبد الرَّحمن السَّيِّد, القاهرة ١٩٧٤م.

٢٣ – شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل, لشهاب الدِّين الخفاجي, القاهرة ١٣٢٥هـ.
٢٤ – الصَّاحبي في فقه اللُّغة وسُنن العرب في كلامها, لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) شرج وتحقيق السَّيِّد أحمد صقر, تقديم د. عبده الرَّاجحي, سلسلة الذَّخائر (٩٩) الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣م.
٢٥– الصَّرف التَّعليمي والتَّطبيق في القُرآن الكريم, د. محمود سُليمان ياقوت, مكتبة المنار الإسلاميَّة, الكويت, ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٦ – العين : لأبي عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي, تحقيق د. مهدي المخزومي, د. إبراهيم السَّامرائي, دار ومكتبة الهلال.بيروت, لبنان, ١٩٩٠م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٢٧ – القاموس المحيط : للفيروزآبادي, موقع الكتاب الورَّاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
– الكامل في اللُّغة والأدب : للمُبرِّد, تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم والسَّيِّد شحاته, القاهرة ١٩٥٦م.
٢٨ – الكتاب : لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠ هـ) خمسة أجزاء, تحقيق عبد السَّلام هارون, الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ١٩٦٦– ١٩٧٧م.
٢٩ – الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري, (ت ٥٢٧ هـ).
٣٠ – لسان العرب : لمحمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار صادر, بيروت, لبنان,الطَّبعة الأولى ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م. مصدر الكتاب برنامج المحدَّث المجَّاني, مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللُّغويين.المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣١ – المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها, للسيوطي, شرح وتعليق, محمَّد جاد, ومحمَّد أبو الفضل, المكتبة العصريَّة, صيدا, بيروت, لبنان, ١٩٨٦م. دون طبعة.

٣٢ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام الأنصاري, مجلدان, تحقيق د. مازن المبارك, وعلي توفيق الحمد, دار الفكر, بيروت, لبنان, الطَّبعة الخامسة ١٩٧٩م.
٣٣ – منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : للشَّيخ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد, على هامش شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك, الطَّبعة العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م, نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة, دار مصر للطباعة سعيد جودة السَّحَّار وشركاه.
٣٤ – المقتضب : لأبي العبَّاس محمد بن يزيد المبرِّد, تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمة, أربعة أجزاء, المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة, القاهرة ١٣٨٦ هـ ١٣٩٩ هـ.
٣٥ – المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لأبي محمَّد محمَّد بن عبد الحقِّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ).تحقيق المجلس العلمي بمكناس, المغرب, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣٦ – مفاتيح الغيب : للفخر الرَّازي, دار إحياء الكتب العربيَّة, مطبعة بولاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣٧ – معاني القرآن : للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي, دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمَّد أمين الورد, عالم الكتب, بيروت, لبنان, الطَّبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٨ – معاني القرآن : لأبي زكريا يحيي بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي, الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب, الطَّبعة الثَّالثة, ١٩٨٠ م.
٣٩ – مُشكل إعراب القرآن : لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ – ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضَّامن, مؤسَّسة الرِّسالة, بيروت, لبنان, الطَّبعة الثَّالثة, ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٤٠ – مقاييس اللُّغة : لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا, تحقيق

عبد السَّلام هارون, اتِّحاد الكُتَّاب العرب, الطَّبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

٤١ – المحكم والمحيط الأعظم : لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المُرسي, تحقيق د. عبد الحميد هنداوي, منشورات محمد علي بيضون, دار الكُتب العلميَّة, بيروت لبنان, الطَّبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

٤٢ – المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني, تحقيق محمد سيِّد كيلاني, دار المعرفة, لبنان.

٤٣ – المصباح المُنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعي (٧٧٠هـ) لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, المكتبة العلميَّة, بيروت, لبنان. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

٤٤ – المحيط في اللُّغة : لإسماعيل بن عبَّاد الصَّاحب أبو القاسم, تحقيق محمَّد حسن آل ياسين. ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٤٥ – مختار الصَّحَّاح : لمحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي,تحقيق محمود خاطر, مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, الطَّبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٦– المخصَّص:, لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي, دار النَّشر : دار إحياء التُّراث العربي, بيروت, لبنان, ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٧ – النَّحو المُصفَّى : د. محمد عيد, عالم الكتب بالقاهرة, الطَّبعة الثَّانية, ٢٠٠٩م.

٤٨ – النَّحو الوافي : للأستاذ عبَّاس حسن, دار المعارف بالقاهرة, الطَّبعة الخامسة .